أصابع العروس

(من أورق كوكب الهوى)

عبد الستار الراوي

الطبعة الاولى ـ بغداد ـ ٢٠٠٢

•

المفكر المصري الكبير
الأستاذ الدكتور نبيل راغب،
إعجاباً واحتراماً،
ومودة دائمة.
يسعدني ويشرفني أن أضع
بين أيديكم هذا الكتاب.
ومحبتي.

عبد الستار الراوي
المحروسة مصر: ٢٧/١٢/٢٠٠٤

اصابع العروس

وزارة الثقافة
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد - ٢٠٠٣



دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية)

حقوق الطبع محفوظة

تعنون جميع المراسلات الى
رئيس مجلس الادارة: عادل ابراهيم
العنوان:
العراق ــ بغداد ــ اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ ــ فاكس ٤٤٤٨٧٦٠ ــ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤
البريد الالكتروني dar @uruklink. net
الموقع على شبكة الانترنيت/www. uruklink. . net/iraqinfo
culture. htm

بادئة الكلام

أصابع العروس. مشهد مباشر لمرحلة (الصبا)، عبرحوارية، جدلية. تصعد تأملاتها الى ماوراء البرهان. صوب فضاءات متعالية لانهاية لافكارها، وقد تنزل الى قاع الوقائع والجزئيات اليومية. تصطرع في تبادلية التصور والتصديق. لتنشىء نص التجربة الأولى، الذي قد يبدو شديد الذاتية، أو غاية في الخصوصية. لكنه بالضرورة ينفتح على مشهد جيل بكامله، وجد نفسه في دائرة الاكتراث المفعم بالبحث عن خبايا الواقع ومجهولات عصر نهاية الخمسينيات وبداية العقد السادس من القرن الفائت

فكان ينشد للغد رغم قيود المرحلة. يلج أيامها ولياليها، معانقا ألوانها واطيافها، ببراءتها وخطاياها.

وحاول بإقدام وثبات أن يكون حرا، أن يكون (هو)، ليسقط الرقابة والتطفل ويحطم القيود الغلاظ عن الذاكرة والورقة والقلم.

متخطيا الخلافيات الجزئية الى آفاق النهرين وهـــو يلاحــق الحلْمُ الوطني ويحتضـــن فيوضاتـــه السـخية علــى امتــداد أرض السواد توقاً للمستقبل الآتـــي، لتعمــير البــلاد وازدهــار العبــاد.. لتلتقى الرؤى والأغـــاني والأذواق بكــل ألــوان العــروس حــول مائدة واحدة، تتسع رحابتها لعموم العقول الآتية من الغد.

عبدالستار الراوي

١

في آخرة القرن العشرين توقظ زخاتُ المطر الليلّي..
شجر الصفصاف
جبل الورد
شباك العشاق
ناعور القرية..
قناديل التكَية
والريحُ عنود تزأر في غار الجنّ
فيفرّ الطيرُ صوب البّريهْ
قدام منقلة النار
بدأ الدرويشُ يروي فصل العشب من أوراق..
القلب المنسيَة..

* *

قال الدرويش:

كان يا ماكان:

في خمسينيات القرن العشرين

ثمة فتيةٌ..

في عمر الورد ينسربون تباعاً..

عند بادئة الصبح جذلين يردون بحر النوقْ

في الضفة الأخرى من أفق العين

كواعب غيدٍ جئن من جنّات المأوى..

أقمارا

يصحبن الدهشةَ..

والغبطةَ وتراتيل الشوق.

التقط الدرويشُ بالكفِ اليمنى من منقلةِ النار جمرا

ثمة قال:

"سفرُ العشق فاتحة الفصل الأول

الزمنْ:

النصف الثاني من العقد الخامس..

في القرن الفائت

الأين:

كوكب الهوى،
طرقات الهيتاويين،
شارع غازي.. أبو سيفين
جامع المصلوب..
في المحروسة بغداد.

* *

شَهدَ العشبُ، الضوءُ، حجرُ الأرصفة الحانية القلب
الآهَ تتلوها آهٌ أخرى..
تنبعث من قلب ولهٍ، أو تنفذ من تلك العين
يطويها تحت الهدبين السيفين خفرٌ..
ثمة يطلقها التوْق المجنون.
ايماءات بيْن العينِ والعين تنسلّ كالومضَ
تغشىْ الأبصار
والغيد يتهامسنّ بوْحاً أو سراً..
يبسمن بنصف الثغر ونصف العين
يرفلن بثياب دمقسٍ وعباءات حرير
يتهادين برفق كحمام الحضراتْ.

* *

٢

تفيض أوراق سفر العشق في عرض مرئيات الصباح الجميل
مذ جرب الفتى رحيق الهوى في تلك اللحظة الخالقة
المفعمة بالسرّ العميق..
يقدم خطوة، ثمة يستعيدها،
يلقيها مرة أخرى، ويؤخرها ثلاثاً..
ماذا بوسعه أن يفعل. وفؤاده قد علق
بجهة البحر اليسرى، يرنو الى الألق الحاني،
ما إنْ ينهض حتى يذوى شوقاً وهياما
يمسك بخطاب الكلمات الناعمة، خشية
أن تنسربَ أو تنأى..
ثمة يقرأ:

"حبيبتي؛..
إن حبك غزا قلبي كما العاصفة
فأزال أسواره الحصينة..
وألحق الهزيمة بمقاومته.
يضطرب تقويم العالم. وتكاد تغيب المرئيات،
تنحلّ خطوات الفتى،
بين الحلم واليقظة،

يفيق بغتة:
تمنحه ايماءة عين. فهوى القلب صريعا
اثر النظرة الأولى،
أعقبه زلزال
مادت أرض (صبابيغ الآل)، واصطخبت
أرصفة شارع فيصل الثاني،
تتداعى موجودات الكوْن، صوراً غائمة..
وتفرّ الكلمات:
الايماءة رمزٌ، لغة أخرى،
لغة ثالثة تتخطى
الحرف
الجمل
العين.
ويشق عليه فك الرمز
تُرى، ماذا تعنّي الايماءة؟!
أعتابٌ أم أنس؟!
نأيٌ أم قرب؟!
ثمة عشرات الاسئلة الهائمة،
يبحث في فقه العقل عن معنى الرمز؟!

لم تجر بينهما (كلمة) حتى اللحظة الخالقة
مذ رآها أول مرة في شتاء ١٩٥٥.
طال بالفتى الترقب.. وهو يتقلب
بين عشرات الاسئلة الهائمة..
مرة يعمد الى التفسير المريح..
واخرى يعذبه التأويل المركب.
وضع الايماءة في مربع الاحتمالات..
آثر في النهاية الانتظار..
فطالت الأيام يطويها توالي الفصول!

٣

.. وتجيء سحابا من ماء الكوثر..
فينثُ رملَ البحر عطراً وندى
.. وترفرف في ألق الضوْء عباءتها المبرّد
ثمة وردة جوري
حمراء بلْون التفاح العجمي،
تسترخي فوق الهضبة.
ويشقُ البدرُ الصبحَ فيشيع في الروح الغبطهْ.

قال الشيخ:

تضيق اللوحة عن بسط تفاصيل اللحظة، أو
تكوينات سحر الملكة.
أرأيتَ مشهداً من جماليات باذخة بالأنس
والرفق والرضى؟! مما يشق عليه الوصف
وتستحيل الاحاطة بمعرفة الحدود والنهايات.
.. يمتد ألق الوجه ضوءا ورديا..
ثمة اللغة النافذة الموحية لتلك العينين
النجلاوين، فيهما العمق والاتساع وسرّ الجذب.

٤

وُلد من أول خفقة قلب أو نظره.
ولّد الانسان..
عَينا أمل فجرّنا في الروح، نهرا وعيونا..
يشعر أن الأرض اقتلعتْ..
والجبلَ الراسخَ مادّ
.. الموجودات تتهاوى..
.. ويذوب فؤاد الصبّ، تطويه خلف الأزمان..

.. ذرات (الأيس)..

.. ينشأ كونٌ آخر..

.. من فرح التكوين الأول..

قال الشيخ:

.. البدء. خفقة طين. ماء وتراب. يتخلق،

يجتذب الاجزاء. ينهض.

يولد للتوّ، ولادة اخرى

.. ثمة النوايا. الخشية. الفقدان.

مغامرة (اللاأدرية)؟!

كيف يمكن للـــ(جوهر الفرد) أن يستحيل عرضا باهتا؟!

وهل تنحلّ الكليات

فتؤول الى محض جزئيات متباعدة؟!

.. وهل يرتقي الجزئي. النسبي سلّم المطلق؟!

.. أو تنطفيء الصيرورة بـــ(الديمومة)؟!

اللحظة (البشرية)،

تصير ملائكية

آتية من عالم مفارق لممكنات العالم.

ما الذي يمكن أن يقال عن (زلزال) النظرة الأولى؟!

ــ انه قيامة أخرى شواهدها، (السحق) و(المحق)..
فــ ــ الغيبة عن منظومة الحواس الخمس.
ــ عبور محددات الوجود.
ــ العروج الى مقام الفناء.
ــ انحلال الأجسام وسقوط الأكوان.
..ما الذي حدث؟!
بدأ بالزلزال؟!
والصخب. ضجيج الاجراس، ضوضاء القلب.
الأصوات هائلة الاتساع.. تخترق الصدر.
الحشد.
تقتلع الموجودات.
ومضى الشيخ يقول:
ازاء التكْوين ران الصمت

أعقبه فعل الانشاء الخلاق،
للزمن والأين..

ثمة ألواح تتوالى،..
.. أحوالا من أنوار الروح،

يرقى الصبّ مقام السكر
فيصير الحُلم زاداً ومعادا

يرنو للاّ (أين)، يبحث عن جمراتِ الذات المتّقده..
.. شوقاً للبحر والحريه..
المشهد كيف. ذوب وفناء
وسقوط (الكم)،
وغياب الأبدان.
اقتربا.. صار الأثنان، خيطاً من نور
عبرا قوَس (الانيّهْ)
فانحلّ
الوقتُ..
الصوتُ..
الذاتْ..
ساد الكوْنَ قانونُ حضور الصمتْ
في ضفة القلب الأخرى، ناح طيرُ الكاظم
.. وبدا الصبّ يخطو فوق الماء.
ينشيء
أسئلة الصحو.

هل تمضي الرحلة بالصمتِ وقانون العين؟!

٥

تنبىء مشهورات العشق،
أن الليل طويل.. يشتدّ فيه الوجدْ.
.. فيهيم الصبّ ولهاً..
يرقب صوتَ الفجر.. أنْ يأتي الغدْ
.. يحلُمُ.
أنْ يلقي بين يديها أشواقَ الليلْ.
ويدسّ في كفيها خطابَ البوْح:

"أميرتي المعظمة.
لم يعد بوسعي كتمان الحب العظيم الى ما لا نهاية.
ليس ثمة من خيار فقد انتزع قوس الصبر
ثلاث سنوات عجاف مضَين.. وفؤادي يتلظى ناراً،
والليل.. هذا الليل يصير عصراً وكأنهُ الأبد.
ألم يحن الوقت لوضع نهاية لمثل هذا الايلام؟
ولتنعمي بالسلام".

قال الشيخ:

في الصباح التالي:
قدم نصف خطوة.
أطلت عليه بنصف لفتة
تسمر في مكانه كما الصنم قُدّ من حجر.
ينزرع في الأرض ويكاد يهوى
تنخذل الكلمات..
.. تستحيل اللحظة عذابا.

٦

يوقظ (ذاته) الغارقة في تأملات الــ(كان)
يتأهب أن يكون اليوم الآتي الذي (يكون)
للحظة المبجلة التي لن يكون وراءها عذاب
التردد ومشاق الانتظار. ليلقي بين يديها
خطاب (البوْح).
.. تغمر الصباح شمس مشرقة
ينشر الفتى شراعه..
ويقلع في فضاءات الأزقة..

تطلّ في أفق (القشل)..
.. تقترب منه فينأى عنها..
يتخلّى عن قرار الليل.
تأكل الخشيةُ الـ(يكون)!!
.. يختلط الخوف بالحياء.
أصبح قلبه كما الطائر.. فرّ من صدره
يضطرب يسرى الهلع في أوصاله.
يسند ظهره الى حائط رطب..
يعيد التقاط نفسه المشتتة..
يفقد المقاومة.. ويهدّه الهوى
فتتوارى اللحظة الخالقة.

٧

يمر بالليل الذي بدا كما الأبد ثابتاً، عصياً، لا يريم.
يلملم شذرات النصّ.
فيكتب ويكتب ويعيد..
لعلها المرة الألف:
أميرتي:
سلام الصبح الجميل.

.. لقد فرّت الكلمات،
مثلما فرّ قلبي هارباً الى اللامكان.
الذى حدث صباح البارحة. مثلما
كان عليه الحال في السنوات الثلاث
العجاف الماضية.
ما انْ أقترب من ظلك.
أو أسعىَ الى جوارك،
حتى تميد الارض، فتأخذني الغشية.
أو تعلمين مدى ما أعانيه من آلام
مبرحة؟!
.. لقد انزرع في أعماقي شيء.
اكبر من (الحب). لابد أن يكون
له اسم آخر.
أكاد اراك في المكان كله.. ويطوف
وجهك في كل الزمان.
أنت وحدك: الحلم والواقع..
تحلّين في النبتة الخضراء،
وينبث عبقك في النسيم
وأكاد أسمع صوتك في مطر الليل

الوجود أنت. حقيقة واحدة.
أوجعني الترقب الى حد الجنون.
هل ثمة أمل للخروج من دائرة الجحيم؟!

٨

قال الشيخ:
ألقى القلب أحماله. في ظهيرة شتائية.
الأربعاء ١٩٥٧/١٢/٥ .
اختطفت أمل بشغف من يده الخطاب بحرارة
لتضم كلماته الى صدرها..
قالت:
.. أين أنت؟! أما تعلم بأن الشوق اليك يعذبني؟!
لم جعلتني أنتظر كل هذه الاعوام؟!
أرجو أن أراك صباح السبت!
طفق الفتى مرحا،
يكاد يحلق من فرط الفرح في سماء الزقاق..
"هل ثمة من بلاغ موح يحيط بمقام
التكوين؟!

أية لحظة خالقة هذه؟!
هل يمكن للكلمة الجزئية أن تستغرق
في (الكلي) فتعبرّ عن لا نهائيته؟!
هل ثمة بادئة نسبية تنفذ الى
(الجوهر الفرد)؟!..
فالكلمة عَرَض
والعبارة عَرَض
والعمر حتى العمر عَرَض زائل!
تفنى الكلمات وتتداعى اللغة تتبدد،
ازاء (المتعالي) ــ الكيف ــ
أفاق الكونُ من رقاده..
الآن.. يتسع ثقب الأبرة لولوج الدنيا،
أمل وأنا وحدة هذا العالم..
الوجود أدرك ماهيته الضائعة
ترى ما الذي توجزه المقولة الشائعة
"طار فرحاً"؟!
.. يالوهن العبارة.
وهشاشة الجملة
وسذاجة التقريظ.

.. (اللحظة) في ذاكرة الفتى لغة أخرى.
تختص بابداع الأسماء والأفعال:
ـ الخلق، الايجاد
ـ التكوين. الأَيس.

أبجدية تسرى في الأوصال، جزئيات النفس. وكليات الروح.
تنفلت اللغة من قيود العناصر الأربعة.
تعرج، تسمو نحو الأعلى:
ـ اللا أين، اللامرئي، اللامحدود. الحرية
عندها تتعين (الذات)، بعد أن لم تكن.
يرقى الفتى الفضاءات العُلى،
في مديات فسيحة الآفاق..
يطوف المدينة مرحاً.. يغنيَ في ساحاتها
وتتصل الفروع بالاصول تصبّ عند
ناصية الفؤاد غبطة ساحرة..
تفيض عيناً تغمر الملأ. المخلوقات
وتعم في كوكب الهوى. بهجة الانتشاء
الروحيّ لاشيء من قبلُ يَقترب
من سعادته الوفيرة.. إيذاناً

بتشيّد مدينة الحُلم الجميل..
يرنو الى الدرب النديّ..
فيضم الى قلبه لحظة البدء.
وإيماءة التكوين.

٩

يا للـــ جمعة؟!
الجمعة:
عصر الغربةْ.
وقيام الوحشةْ.
توقظ في ذاكرة العاشق
شوقاً وحنيناً ونوى..
.. ويدور حول (الدار) يسعى..
يمضى زمنا..
يمتد الوقت..
وتطول الغِربةْ..
ويمنيّ النفسَ..
قد ينفتح الشباك الموصد

أو تشرع باب الدار الآن.

فيطل الوجه الغائب.

قال الشيخ:

لا يدرك أحد في هذي الدنيا. قانون الشوق..

.. ومكابدة العشاق..

الا الهائم في محراب الولَه المدنف.

إذْ يختلط في عقل العاشق ضدان:

الهاجس والخاطر

اليأس والأمل.

الحزن والفرح.

.. الظلمة والنور

عند انقضاء ليل الجمعة. يعود القلب يصطخب ويعلو وجيفه، غداً يوم آخر. يأوى العاشقان الى ظل لحظة خالقة..

١٠

قال الشيخ:

عبر ثلاث سنوات من تألقات الروح

وانطفاءاتها.. من سحر الترقب.

وعذاب الانتظار.. يجيء الرحيق،
يتبادلان الكلمات..
فتنشىء أمل أولى رسائلها اليه:

"العزيز
ياحياتي.
أو تعلم؟!
أو تعلم ما الذي تعنيه لحظة
الأربعاء. عقب ثلاث سنوات
من الاقامة في جحيم الصمت؟!
كاد الجفاف يقتلع آخر
عشبة في حديقة البيت.
فقد زخ خطابك مطر الورد.
فأيقظ الجذور مرة أخرى.
وامتلأت عروقي بتلك
الغبطة الساحرة.. وأفاضت
بجمال لا حدود لفتنته
وانذهالاته. ومشاهده..
فكأنك اضأت روحي،

بكل هذه الروائع الأخاذة.
أشتاق اليك كل حين،
والى الأبد.

١١

أميرتي
أو تعلمين ما الذي يحيا الانسان من أجله إنه (السر المبجل)
الذي يسري في الروح،
فلاتدركه العيون،
أو تحيط بماهيته الحواس
الأخرى.
انه طراز فريد من الاتساق
الداخلى.
أشبه بـــ(الحدس)، الذي
يجيء لمحة
ايماءة
اشارة..
خفقة من نور يشع
في لحظة تنفلت من

أسر الوجود.
فتوقد كل تلك القناديل
في حنايا النفس..
لتشع ضياء على الدنيا.
بحجم شمس النهار.
ها نحن نولد مرة اخرى،
في بستان مذهل.
مكتظ بالثمار والينابيع.
* أنتظر كلماتك!

١٢

العزيز
الحاضر في كل الأوقات.
سلاماً وشوقاً.
ادركت الآن فقط معنى السعادة!
أن لها مذاقاً كالسحر، يتجدد كل حين،
ياللذاتها العجيبة.. تحت الجلد
وفي الرأس وعلى اللسان..
أرقب أطلالتك في يقظتي.. ومنامي
أتمنى أن اكون على الدوام بقربك والى جوارك

دائما والى الأبد.
.. أية جنة هذه التي أشرعت أمامنا
كل هذه الأبواب الوسيعة واوقدت
كل هذه الأنوار؟!
فالفردوس الذي أصبح (مأوى) الروح، هو
أن نحيا معا
أن لا نفترق أبدا
أن نكون معا تحت شجرة ذات قطوف دانية
نتذوق ثمارها متى شئنا..
ولن يكون للحياة معنى إلا اذا التأمنا،
فيصير الأثنان واحدا.

١٣

أميرتي..
.. خرج القلب من خبائه. الى ظل شجرة
المأوى، وانضم الى اليوم الآتي..

١٤

الغربة.. ياللغربة
تتوالى في اليوم الواحد مرات. مرات.
نترقب أن يلد الليل الفجر فيأتي الصبح..
فيحل بهاء الوصل.
ونقيم في رحبات القلب قصر المأوى
من ياقوت وعقيق ورياحين..
.. نحيا في حجرات الجنة..
ونطوف بين شرفات الورد
تغمرنا وحدة هذا الكون..
.. نتلاشى في اقليم الذوب.
والى آخر أيام العمر
..

١٥

لا.

لا تعجل.

لا تحزن.

فالغربة منذ الأزل قانون القلب.

والصيرورة تعني الأضداد.

الا أنت وأنا..

الـــ (نحن) تؤتي:

عشبا. ماء. ضوء.

الضدان يلتقيان

يولد من بينهما القانون الثالث.

الحركة.

دع عنك الحزن

وايلام الزمن.

ومصير اللحظة

وانهض

حتى نأتي يوما..

أنت وأنا..

بـــ(الفردوس)

١٦

رِفقاً بــ(هلال الآسّ)
يستلقي قدام الشبِاك.
هلاّ أرخيت رتاج البحر قليلا
فالمؤج يحنّ للمرفأ   أن يأتي الشاطىء ليلا
هلاّ أويتِ في هذا البرد
نورس خضر الياسّ
بين حنايا (الآينين)..
قد يطويه الدفء عند الفجر.
فينام قرير العين.
.. ثمة هزي شباكَ الصبرْ
علّ سحب الشوق تسقط
فوقَ النجماتِ المتقدة.
مطر الصيف!

١٧

ترى:

ما الذي جرى؟!

ما الذي أطاح بـ(اللحظة) المرتقبة؟!

فأجتزتني دونما إيماءة او تحية أو كلام؟!

لم تجاهلتني. فأشحت بوجهك.. ثم وليت الادبار هاربا؟!

منذ منتصف نهار البارحة،

وأنا أعدو في طرقات الليل كالمجنون.

وأكاد أفقد ظلي.

أتلاشى بددا.

وكأنك استلبت وجودي كله.

فارقني النوم وعصفت بي الظنون..

ترى؟! ترى؟! تتوالى دونما جواب.

راجعت نفسي. وتأملت تفاصيل البارحة.

لعلي أرتكبت خطيئة مما لا أعلم بها ولا أدرى

ولا خطر لي على بال؟!

.. عاودت السؤال عشرات المرات:

هل اقترفت ذنبا ما؟! وكيف؟!

وهل يعقل أن أمنح نفسي حق تجاوز من هو
ملاذي وحياتي..
لاشيء في دنياي، حتى عمري يعادل مقامك.
فأنت الأرفع والأغلى والأحب.
ولعلك تعلم بأنك المبتدأ والمنتهى، في الزمن القائم والآت.
في الحياة وما وراءها، فأنت (الكل)، والكل أنت.
لاشيء يسعدني الا قربك، ويشقيني بُعدك..
وانت لا أحد قبلك أو سواك يحتل قلبي، يسكنني، فاشعر
بأنك موجود معي. قائم في داخلي، مبثوث في حياتي كلها.
فلاأجد فصلاً بيننا، فأنت الحاضر في نهارى تحيا في
بيتي، واحسك الى جواري. رائحتك في كتبي وثيابي.
فلمَ تجاوزتني؟!
لم أهملت لحظة غالية من أعمارنا؟!
.. أو تعلم بأن أية لحظة اراك فيها هي عمري الذاهب والآتي؟
لم أعهدك بهذه القسوة من قبل.
سألتك الله أن تخبرني.
وسأظل ألقي الاسئلة عليك الى أن تجيبني
ترى ما سبب عزوفك المفاجيء عن تحيتي وأنا أجتاز
الزقاق العتيد في طريق العودة الى الدار؟!

.. انني أشفق على نفسي من ضجيج الاسئلة
.. وعذاب الجنون.
أنتظر ردك غداً.
واسلَم غالياً.

١٨

العزيزة
سلاماً،
سلاماً،
سلاماً،
أوَ تعقلين للحظة واحدة،
بأن يتخلّى الانسان عن سرّ بقائه؟
هل أعيد القول واؤكد العهد مرة أخرى.
بأنك أيتها العزيزة:
وجود متصل
وخلود باق
ديمومة مستمرة

كيف شاءت لك الظنون أن تنتهي
الى مثل هذا الاستنتاج الخاطىء؟!
فتقودك الهواجس الى تلك الضفاف
البعيدة؟!
فاللحظة التي أقيم فيها شوقا وانتظارا..
.. نتبادل عبرها كلماتنا الحانية
هي كل ما نملك في هذه الدنيا والعمر والحياة،
أنها تعيد الينا الأمل وتجدد من حولنا
نضارة العالم.. فالتوق اليك لن يتوقف
عند حد ولن ينتهي في أي من الأوقات،
انني أبحث عن كلمة أخرى تفوق الشوق.
هل تدركين أي احساس يتملكني حين
تقتربين من ناحية الزقاق الذي يفضي
الى دارك. فيتحتم علينا أن نومىء بتحية
الوداع: فاشعر على الفور، بأنني عدت
عطشا مرة أخرى.. اذ تنقلب صورة
الأشياء فجأة حتى لتبدو مجردة المعاني
فارغة، موحشة، فاقدة الحياة؟

عندها،

يبدو النهار ضحلا ظلا أجوف.. ويتمادى الليل
طولا وسهدا واكتراثا.
كل الذي حدث أول أمس أوجبته ضرورة طارئة.
اذ رأيت أباك مقبلا في ذات الاتجاه وكان
يمشي متكلأ عصاه وراءك.. ولو أنك
التفت لأدركت وعلمت، لم تخطيتكن فآثرت
زقاقا جانبيا..
هذا هو السبب الذي أحسبه كافيا. لن ألوذ
الى الجمعة الأخرى.

مأأرمك وأروعك
وما أشف عتابك..
وكلماتك.

لعلك تعلمين تماما بان اللحظة المرتقبة التي
أسقطتها الضرورة قد تسببت هي الأخرى
في ايلامي مرتين:
مرة لفقدانها دونما كلام أو سلام.
والثانية. للألم الذي نزل بك جراء الظنون.
ولا اقول أشاركك معاناتك. بل أتمنى

أن ارفع عنك همومك كلها،
فملاك رقيق مثلك يتعين أن لا يعرف حزناً،
أو يوجع فؤاده ألم فيسهده ويشقيه.
آه لو كان ثمة من سبيل لضمتك
الى قلبي الآن والى الابد".

١٩

ليلة أمس.
حاولت أن أمسك بـــ(الحلم) كله، بعد أن فرت
بعض تفاصيله الصغيرة.
.. أما علمت أم أنبئك بأن لنا:
بيتاً، وحديقة،
ونافورة ماء،
وطيوراً بيضاً تحفَّ بنا.
وأزهاراً عبقة من كل لون بهيج.
أنتَ وأنا،
يداً بيد.
قلباً يضم قلباً

في دار واحدة..
أجرها من ذهب ورخام فيروزي بلون البحر
جدرانها شبيهة بالمرايا..
.. مشينا بين أروقة الورد، وتحدثنا،
جئتنى برمانة بحجم البدر
حبيباتها فصوص خضر تشع نجوما..
ثمار الجنة..
آوينا دار اللقيا..
تتدلى من شرفاتها فاكحلة مضيئة كالقناديل.
.. انفتحت الأبواب المنغمرة بالضوء والعطر..
جمعتنا حجرات الشوق..
تتلألأ بالألوان.. تسرى بين النجم..
وفراش وثير.. وستائر من ورق التين..
.. ثم أتينا رواق (الغبطة)..
قرأنا اسمينا..
ودلفنا.. ورأينا ثم رأينا..
الأرض عشبا من قداح الليل
أشجارا من ذهب..
والثمر ياقوتا. مرجانا، فيروزا..

تجري من حول الجدران ساقية من ضوء
واتينا الشجرة
باسقة ذات ظلال..
وقطوف تتدلى بين الكفين..
وتذوقنا ثمر الغبطة..
لم تر عين..
أو تسمع أذن
أو خطر على قلب انسان
أنت وانا. نمتلىء بماء الورد..
يتعذر وصف المشهد!
.. ترى هل بوسع الفؤاد أن يرتقي. يسمو. يطوي
الآماد. الأزمان. فيطل على باب الفردوس..
.. ترى أي الرؤى. الاسفار (الروحية) بوسعها
أن تقترب من كل هذا الجمال الباذخ..
العذوبة..
الفتنة.
السحر؟
تمتلىء النفس بالرضى.
وتنال ماشاء لها من (المسرّات)..

فيزول لقب الدنيا، واوصاب الزمن..
الجسد يتلاشى..
يصبح المرء كما لو كان طيراً طليقاً..
وان تمنى شيئاً يحضر بين يديه على التوّ
.. ليس ثمة الا احساس غامر بالفرح والسعادة والأنس.
ونحنْ (أنت وانا) معاً..
يداً بيد..
قلبك يضمّ قلبي..
لم يأتِ على الزمن هناك ليل..
لم أرَ الا قمر النهار
.. النجوم تستريح على الشرفات وبين الكفيّن..
.. غاب النوم.
يقظة مستديمة.
استلقينا على شاطىء نهر الغبطة..
ذي المياه البلورية..
ترقص من حولنا الغزلان وتعدو وراء السحب.
ما إنْ تومىء بيدك صوب الشجر حتى تحضر بين يديك الثمار،
أطعمتني تيناً وتمرا.. وخوخاً وعنبا..
لم يزل المذاق نديّاً..

لغة الحديث.. إيماء (جواليّ) دون كلام
ياإلهي كيف يتسنى عرض كل تلك المتع الوفيرة..
ذائقة لا حسية..
عقلية..
عبر أروقة (الغبطة)
صرنا كالتوأم..
ليس ثمة من فاصلة بين الأثنين
فأنت أنا..
وأنا أنت..
زال الشطران.. التأما
..
عند حدّ الاكتمال..
رفعت الثنائية،
بدأت الأنوار تنحسر..
انطفأ الوهج..
.. وصحوت من الحُلم!
.. الحُلم اشارة أخرى عن يقين جوّاني، يؤكد
رغبتي، بأن لابديل عن خاتمة الرحلة
الا بيتاً يضمّ حلمنا معاً..

.. ولعلنا نُشيدَ تلك الجنة الوارفة
الظلال يوماً على بقعةٍ ما على الأرض.
.. وهو الأمل الذي يجعلنا
نسعى ونحيا، ونعمل معاً على قيامته
.. سأحتفظ طويلاً بكل تلك الغبطة
المدهشة..
واضمك الى قلبي.

٢٠

الحُلم بهاءُ يغشى الوقت القائمْ
والبهجةُ سرّ يرقد في اللا أينْ
من ذا يوقظ اشواقَ الورد؟!
أو ياتي النارَ الماء؟!
ينفلتُ العقلُ طليقاً خلفَ الأزمان..
ويفر في آخرة الليل القلب..
يطوي الدنيا.
"ترى هل ثمة من سبيل لأن نظفر بالغد.
عبر (الآن). أم تختزل الزمن الحاضر

فتحلق الى ما ورائه، نرود المسافات
الطويلة بخطوة واحدة؟!
فنلوذ بأفياء الأمل!
الهرب مرة أخرى من قيود الحال.
الى حيث يستحيل العاشق (ظلا)!
فلا تختلج في نفسه الا مرئيات الجمال اللامتناهي،
الكلمة الأولى،
والنسمة الندية..
والبراءة العذراء.
لاجتياز الابعاد القائمة ونفي الزمن.
ترى هل سيتواصل غناؤنا على هذا النحو.
فنوقد ظلمات الطرقات بالورد والقناديل..
ونلقى الفؤاد في حوض الرياحين..
.. ونرود عينا نضاحة بماء الياسمين؟!
.. لقد ولدنا بنفس حالمة لاتحسن الا الطواف وراء الوجود.
فأقامت جناتها النائية خشية أن تبتلعها الرتابة أو
يطوي عذوبتها الضجر. أو يهدها الشقاء، فاصطنعت
لغة ندية تجول بين خمائل من حرير.. تأتيها الفاكهة في
كل حين. تختال بين أروقة الفرح، وتنزل قصورا بيضاً

وسيعة النوافذ مشرعة الأبواب تعبق بعطر للفردوس.
.. تنهض الأخيلة
تبدع لوحات فاتنة التشكيل.
هي ذي أنت!
ملكة العشب.
سيدة النماء.
ثمة تاج من ورق النعناع
وعلى صدرك عقد من ريلحين..
تومئين أن تعال!
فيخفق قلبي
حذر يسري في الأوصال
ما ان اقترب منك.. حتى أنهض.
أفزعتني ساعة الصباح.
.. أخشى أن نصحو يوما فنكتشف بأن حياتنا معا،
لم تكن بكل أزمانها الممتلئة بكل هذه التفاصيل.
الا حلما جميلا عابرا.
عندها لانملك ازاء حقيقة فاجعة كهذه،
الا أن نسلم بمأساوية الوجود وعبثية الحياة،
أو نهرب من جلودنا مرة أخرى، نبحث عن حلم عذب آخر.

أو نتقبل الجنون.

لندع غناءنا يستمر .. ولتحملنا تأملاتنا الى

بحر الدهشة؟!

امتلأت ذاكرتي بما سمعت، وقرات. حاولت عبر المرويات
والأحاديث، وما طالعت من كتب واوراق،
أن أقف بحثا واستقصاء على علة (قانون الجذب الانساني).
ثمة حكايات قد لا تحصى عددا، لمواقف وامثلة
واساطير، مما تتناقله الألفة، وصحف التاريخ،
وأوراق العشاق وذاكرة الانسانية.. آلت
مذاهب شتى تفرقت بالرواة السبل.. فلم
يأت أحد منهم عين اليقين.. الا انطباعات
ورؤى، وظنونا. تمس (العلة) مسا واهنا،
ثمة تدور حولها طويلا تحاول النفاذ الى ماهيتها،
فترد من حيث وردت، فتظل التفسيرات بعيدة
عنها أو غريبة عليها.

.. وان أصاب البعض منهم في جانب من تعليله
لحقيقة (الحب)، فانه لم يلبث أن أخفق في استنباط
قاعدة عامة، أو قانون موحد، يفسر هذه الظاهرة.
وقد انشغل القدامى والمحدثون عبر استقراء عشرات

المئات من التجارب وخبرات القلوب والعقول
والتواريخ واللحظات.. وما إن يجمعوا على
راس القضية حتى ينفرط من بين أيديهم عقدها
فتتفرع الى مسائل لا حصر لها،
فتحسبها في البدء علة واحدة، ثم تتبين أنها
أسباب شتى.

واول خطايا (الأسباب) ـــ الوقوع في دائرة (التعميم).
دون نظر لاختلاف الأزمان والاوطان،
وتباين النفوس والطباع
واهمال لموجبات البدء والمنتهى.

واغلب هؤلاء يعتمدون أقيسة منطقية يغلب عليها
الظن. من حيث:

ـــ المماثلة والتشابه والموازة.
ـــ الكم. التطابق. الاشكال المتآلفة.

من دون إحاطة بـــ(التناقض. الاختلاف. التنافر. الخ..
الى جوار الاختلاط أو الخلط بين الدواعي النفسية.
والبيئة، والتقاليد. والموروثات الاجتماعية الثقافية.
بلى. الانسان منذ البدء أدرك الجمال وتعلق به.
أحسّ بالنبتة الخضراء والوردة والضوء

واكتشف العلاقة بين النور والعين..
وعرف الخير والبهجة والحق..
وشعر بجاذبية الآخر.
وأحب الجماليات لذاتها، قبل أن يُدرك
سرّها العظيم.
قد.. يحتضن البصر جزئية حسّيةً ة
وقد تستعذب الحاسة السمعية صوتاً،
او نغمة ما.
.. وقد تلتئم الحواس الخمس
في ذائقة جمالية واحدة.
ازاء فتنة الاتساق
في الطبيعة
لوناً. ظلاً، عطراً، ايقاعاً. حركة.
ومن الرمل والحصى والمياه والعشب والشمس
شكلّ الانسان ذائقته الذهنية، تلك اللوحة
الأولى للبصيرة النافذة.
ومن الألفة، والصداقة، اشتقّ الكائن الجميل
الحنوّ والدفء فامتثل الشوق الى المثال الأول..
و... حتى نلتقي: أقرئك السلام.

٢١

أيها العزيز

تأملاتي لما وراء المكان. ايذان متبادل لحلم

نقتسمهُ أو نلتئم في رؤاه معاً.

ومن غير هذا العروج،

فأن من المحال الظفر بالضفة

الأخرى؟!

فالحُلمَ يزودني بطاقة ذهنية هائلة،

تجعلني خارج حتمية فيزياء الجاذبية

الصلبة..

فنأوي الى بيت من بلور أو نلوذ بفيء

حديقة غناء.. تنهض أشجارها

بثمار الفصول الأربعة..

تلك الاصداء النائية البعيدة المنال.

هي كل ما بحوزتي من رؤى وتأملات.

ودونهما، فقد يشق

علي التواصل مع الحياة.

أنت الذي أمليت علي الحلم.

أم أحسبك نسيت؟!
.. ألم تقل بأن علينا أن نطويَ
الأيام والليالي فوق سحابة
من حرير .. وان نغمض العين
فنرى عجبا..
نحلق في الفضاءات الوسيعة،
متى شئنا وكيفما أردنا..
وان الخطوة الواحدة تحملنا
الى الأقاصي بلمح البصر.
أنا معك. قريبة منك والى جوارك.

٢٢

العزيزة

.. اكاد اصاب بالجنون واللاجدوى.
فأشعر قيد اللحظة. وفظاظة الواقع. وبعد الطريق.
ترى أين تمضي بنا كل تلك التهويمات؟!
الى أين؟!
والى م يستمر التضاد بين بؤس الحياة وفردوسية الما وراء؟!

هل نمضي الى ما لا نهاية في الرحلة المفارقة للطبيعة..
فننفي انفسنا خارج الوجود.
. ترى ألا يستحق هذا كله
أن نقف. أو نتريث
قبيل أن يأخذنا الوهم بعيدا..
لنجدد لقاءنا عند ناصية الدربونة العتيدة
فنسعد بتحية الصباح.
وتتواصل خفقات القلوب.
حسبنا ان نحيا اليوم الذي يأتي..
فوجودنا ينبثق في اللحظة
القائمة ويتشكل في بهائها،
والسلام

٢٣

الآن.
حان الوقت.
وأذن الحال.
لأن نلتقي معا فوق بقعة على أرض كوكب الأرض.
أنتظرك الاربعاء.. ١٩٥٨
الثالثة عصرا في المكان الأثير.

وحتى تحين اللحظة المرتقبة،

أبثك الأشواق والسلام.

٢٤

طوّيا ثلاث ليال ساهرّين،

لم ينم أيّ منهما. فقد كان

كل شيء في داخلهما متوتراً وقلقاً وهما يرقبان عصر الأربعاء يحثان الوقت

أن يعجل موعدهما الأول.

شاغلا النفس باهتمامات كثيرة..

تقلبا على الجنبين..

أحسّا بأن الانتظار يكاد يقبض بيدين

مجهولتين على عقربي الساعة..

حتى لاذت دقاتها بالصمت والإنكفاء

أنشطارات نفسية. ذهنية..

تتباعد معها (الذات) تتشظى..

حاولا أن يعودا الى فاتحة اليوم

الأول.

.. تتفوق (أنا) الأنثى تعبر الليالي

الثلاث زادها أوراق الورد،
تتلو رسائله واحدة اثر اخرى
ثم تعيد لاحتضان الكلمة. تضم
حروفها جهة البحر الأيسر
تلاحق الاشارات واللمحات..
وتستعيد زلزال النظرة الأولى،
فتوقظ الصواعق، الحرائق..
الاختلاجات
وتكاد تحصي نبض التاريخ..
بضجيجه وهدأته ظاهراً بيناً..
باطناً عميقاً وبعيدا..
تتآلف الجزئيات في مرآة النفس.
لوحة تزخر بالمرئيات..
... تسعى الى الورق، تخط بالقلم خاطرة
الموعد المرتقب:
".. عام مضى. أو يزيد .. مُذ أنشأتُ
أولى رسائلي إليه..
.. هأنذا الآن أكادُ أهتف
لليوم الآتي:

يا أربعاء
فلتأت الآن وفي الحال؟
أين أنت..
يا تقويم الأزمان
أطلق أسر اليوم الرابع..
لاتدعه يبعد عنا
أوجع كبدي النأيّ ..
عجل ياتقويم العشاق..
ولتأت اللحظهْ..
الآن ،، الآن ،،

هل ثمة من سبيل آخر بعد أن أضنتني التأملات، وشق عليّ الهرب من جحيم الاسئلة؟!
تُرى هل بوسع الورقة الواهنة أن تحتمل وطأة الوزن النوعى الهائل القوة والاتساع الذي يفوق العالم ويتعدى كائناته؟!
•• اللقاء الذي حلُمت به وسعيت اليه، تجربة الوجود الكبرى، لاشيء يعادل تجربة اكتشاف المعنى العميق للحياة.
ترى أي مقياس يكافيء شفافية النفس، وهي ترتقي الى الملأ الأعلى،؟!

ليس ثمة من معادلات مهما بلغت وحداتها من الاحكام
قادرة على التوصيف والتعريف، ازاء الحكمة المتعالية،
التي لا يحيط بماهيتها عقل أو يحدها مفهوم.
اذا كيف؟!
ترى بأي انشاء تكويني أو تأويل لغوي تدرك
معاني (الارتقاء)، أو يجري تفسير (الفناء)
في المحبوب؟!
إنها بهجة من طراز فريد.
يتآلف في نسيجها العقل والفؤاد.
الذاكرة والحواس
الظاهر والباطن.
الغائب والشاهد
الذات والآخر
الانسان والطبيعة.
الامتداد واللامكان،
الفيزياء والميتافيزياء
الأنا والعالم.
النار والماء
تجليات آخاذة. تتواصل عبرها الدهشة والغبطة،

فيحيا المحب بالمحبوب في الأحوال والمقامات
يا الهي!
هل جرب العشاق ماهية العذاب الجميل؟!
هل عرفوا معنى البعد الحزن. الشوق.
صبابة الليالي. الترقب اللامتناهي،
حين تصير الدقيقة الواحدة دهرا..؟!

لم يبق من الزمان الا ثلاث ساعات ويحين الموعد!
كيف يمكن للعقل البشري أن يتآلف مع المستحيل
الذي استحال الى عصر لاينقضي؟!
أن كلِ دقيقة تمر تأخذ معها عمري كله،
تمتصّني، تذيبني..
انها النار الموّارة في العقل..
ما العمل؟!
كيف السبيل الى قيامة النفس التّوّاقة الى ولادة أخرى؟!
لاجتزاء الوقت، وعبور المسافة الفراغية؟!
ترى أين (هو) الآن؟!
لعله في خباء تأملاته.. يسعى اليَّ في طوافه المستديم،
.. حتى تنتهي الساعات الثلاث. فيجيء الوعد.

انه هناك، في رحلة الترقب المفعم بالعذاب.
أكاد أشم رائحته.
واشعر بأنفاسه..
واسمع نشيد فؤاده
(هو): في حجرته الموصدة بالدخان والآلام
يجوس أرضا بيضاء كالثلج
تستغرقه الرؤى تستحثه أن يرنو الى (مقام المعاني)،
فيخفّ، يصحبه النسيم والندى.

٢٥

عند بوابة الجسر في الثالثة عصرا، التقيا،
تعانقت العيون،
وعلا صوت الوجيف.. وانطلقا.. يذرعان
الأرض، تحدثا بلغة أخرى،
حروفُها الوصلُ الجميلُ، وهمس النسيم العذب
الآتي من مياه دجلة السخية
.. وعبرا ..

واختارا كرادةَ مريم.. أنشدا
في شوارعها الفسيحة.

وتحت ظلال أشجار الصفصاف أغنية لقائهما
الأول.. وفاض الفؤادان..
وتجليا، حتى صارا عيناً من عسلّ الجنة،
الحب هذا الموجود المعظمّ .. تستيقظ
في ذاكرته، الرسوم، والآثار.. والنافذة
المطفأة.. الرسائل.. والمناديل
الهمسات، والسكنات..
أسقام (البعد) و(النأي).. فيصيب
النفسَ الحزن.. وقد يجهش القلب بـــ البكاء..
الحب الأول، بوْحٌ ألذّ من الشهد، انه قيامة
كينونة الانسان، ويقظة الفرح.
الانساني.
.. اللقاء الأَول، المدرك الأول للوجود
منذ لحظة الخلق والتكوين
حاولا أن يقولا كل شيء.. واكتشفا بأنهما
لم يتحدثا عن الشمس. ونسيم الصبح..

ونجمة السرور، والبحر، والوردة،
والحرية..
خرجا معاً على فقه الوصف والتعريف،
فالمحبة لا يظهرها شرح مسهب، أو
قول مأثور..
انها الزمان كله، والمكان المتسع بجهاته
الأربع.
يسكنان معاً في مطلق الوجود.. في جذور
النخلة، والنبتة، وخيوط النور، وقطرات
الندى،
ليس ثمة من مربع فقهي معدّ سلفاً يعلّل المحبة او يفسر اسبابها،
انها تستغرق لغات الدنيا كافة..
هي لغة الوجيف، وحرارة القلب، عبر تداعيات:
نظرة، لفتة، اشارة، همس،
ثمة بوح.. قرب. وصال.

والمحبة هي:..
ـ غليان القلب، وانتفاضاته عند العطش،
و ـ الاهتياج الى لقاء المحبوب.

الحب.

.. وأين نضع هذا القدر الرفيع من البراءة.
والسماحة والتلقائية.. والايثار؟
هل ينتهي الى تلك الدائرة
المتعالية .. فيصير الحب بحثا وراء
الحقيقة والجمال؟!
أقصيًا الرغبة الحسية.. ولم يعد حاضرا
الاّ هذا اللون العجيب من الايثار.. الفناء في
المحبوب.. وليس ثمة حدود أو نهايات، الا الذّوب
في الحقيقة الكلية.

وما ان جاورا الورد حتى أقلعا عن الـوجود،
في رحلة توحدت فيها طاقة نفاذة الى
اللا أين، فيفران من عالم الشهادة الى
ميتافيزياء الغيب.. فيرقيان معا الى مقام
الهوى، فيجيء قانون لزوم مايلزم،
ثم يعرجان الى (العشق).. ولا يكتفيان..
فيتماسكان.. تألقا. فيدلفان
مقام (الشغف).. ويشعران باحتراق

القلب، تليه (اللوعة).. فاللواعج،
وما إنْ يبلغ الحب شغاف القلب،
حتى يعرجا الى مقام
(الجوى).. فيتوحد الظاهر بالباطن،
ويشتدّ بهما الهوى، حتى يصلا
(التيّم). وعندها يصبح كل منهما مملوكاً
لمحبوبه..
ثم يعتليان فيدخلان (البدليّةُ)
فيحل كلاهما في الآخر.. فيذوبان..
ليصبحا واحدا   فينغمرا بأنوار المحبة
القدسية.
.. وأفاقا بعد حين، من اغفاءة ، او غِشيةٍ، نزلا
أرض الوقت مرة أخرى،
نهضا، انسربا في الدروب، أطلاّ
على مياه دجلة..
تحسبهم سكارى، وماهم بسكارى،
مشيا معاً
عند شواطىء النهر.. يقفان، يشردان،
يتأملان "الروجة" الآتية الى الشاطئْ.. والغادية

الى الضفة الاخرى

وطيور الماء

وشمس الأربعاء،

تسقط في المياه،

وتذوي وراء الأفق البعيد..

فيغذّان السيرَ

تتكىء على كتفه..

وتهمس بكلمات ناعمة،

.. لقد فات الوقت،

وغربت شمس الأربعاء،

ألم تحنّ العودة بعد؟!

هيا نعبر الجسرَ

في لحظات حوار العودة وعبور الجسر، ساد الصمت

من حولهما، وارتحلت كل الأصوات، لم يعد حيّ

أو أحد في الدنيا، ملكا الأرض، والزمن،

فيما بقيّ في الكون يتردد صدى

الوجيف.. وأناشيد طيور الماء، وايقاعات أمواج

الشاطىء..

.. وكأنهما خرجا لحظة التكوين الأول،

فانبثقا والمياه معا: وجودا واحدا منذ البدء
وحين انبجس الماء كانا..
انهما يمنحان الحياة (كينونتها)،
فيؤيسان الحب من ليس،
في البدء كانا، فكان:
الجسر الوردة. الضوء. الرمل،
البيت، اللمسة، الهمسة، القرب،
الهوى، التلاقي، العناق، الغشية،
الرحيل، الانفلات، السريان
الذوبان.. التسامي، الارتقاء
الوصول.. التمكين الايجاد
الأختيار. الحرية. الارادة،
المسؤولية، الفعل الطليق.. الرحابة،
التجاوز. التخطي، العبور،
الدهشة. الومضة. الكشف،
الالتقاط. الاحاطة، الاحتواء،
الوعي، المعرفة، التعليل،
الادراك، القانون. التفسير،
العقل/القلب. الخاطر.

التدبير. الاعداد. ٠التنفيذ.
المكان. الزمان. الحركة.

يجيبها:
إلى مَ العجلة.
فلم يأتنا الليلُ بعد
دعينا نقف على أبواب المغرب
.. ألا ترَين بأن الزمنَ لم ينقضِ
والموعد لم يزل قائماً بيننا،
.. أننا نحيا لحظات رحيل الشمس،
انظري الى صفحة الماء..
مفعمة بلون البرتقال..
.. نعود.. ونعبر الجسرَ
عندما يدخل علينا الليل،
وتشق السماء النجوم..
وتقول له:
لا.. لا.. فقد أزِف الوقت،
أخشى الليلَ..
دعني أرى وجهك دائماً في

ضوء الصباح والنهار..
انظر.. اختفت برتقالة الشمس،
وانغمرت المياه بالرماد
.. هيا ..هيا
فالغبطة تملؤني الآن، وذاكرتي
تحتشد بالألوان.. وأريج اليوم،
.. أعدك أن اكتب كل تفاصيل
الرحلة..
معا .. عبرا الجسر.. ذابا في الطرقات..

٢٦

أو تدرين.
بأن القلب في آخرة الليل يسرى طيرا
يحتضن بجناحيه شجر الفردوس
ويعود محترقاً.. يتناثر فوق الماء رمادا
.. الى م الانتظار
والترقب،
والزمن.

والعصر،

والوقت،

والساعة،

وتوالى الفصول،

وتتابع السنين..

ونحن نقف بين يدى الأيام،

يأكلنا المكان،

ويمشي على قلوبنا الصيف والشتاء.

وينأى عن طريقنا الربيع..

وتسقط أوراقنا قبل أن يأتي الخريف،

لعلها ثرثرة (الوحدة)

و(السأم)

و(اللاجدوى)

وأنا أحاول اجتياز سلم الليل،

وأطل من النافذة،

فأزيح الستار..

لعل الشمس تأتي..

أو يشق الفجر

زرقة النوافذ والجدران.

فمذ أمس وأنا أقرأ أوراق الوَرد،.. وهأنذا
أعيدها الى الرفّ.. وجدتها (جافة)،
فعاودتُ قراءة ديستويفسكي، للمرة
العاشرة.. أجده حاضرا، حيا، عبر
أبطاله الخالدين،
الذين يقاومون الموت والبلى،
ويتحَدون العدم،
بربارة مولعة بالترقب أمام النافذة،
تمضي فصول السنة،
وتتوالى الشهور،
وهي تلصق وجهها بزجاج
الشباك.. نهارا وليلا وعلى
امتداد ساعات اليوم،
انها تتناول الطعام،
وتقرأ الشعر،
وتنام واقفة كالخيل، لاتحيد
وهي تلقي نظراتها الى الطريق،
وتدور عيناها على جانبيه،
لعل المحبوب يطلَ مرة،

أو يجيء يوما..
أو يعود من رحلته الطويلة
بربارة .. أصبحت جزءا حميما في نافذتي
لم اجد شيئا ذا قيمة عميقة
أو مميزة لدى المنفلوطي..
فأوراق الورد ذابلة..
و(ماجدولين) ترجمة تخلو من الطقس
النفس الذي أنشئت فيه.. انها بلا روح.
.. لقد غلب عليها (اللفظ)
(الشكل) فغيَب المضمون
أما روايات احسان عبدالقدوس،
ونصيحتك الملحة بقراءتها..
فانها تبدو كأنها كتبت لـ(طبقة) أخرى.
معظم ابطالها من (المدللين)
سرعان ما يصابون بالخيبة أو الغثيان.
انهم يبحثون عن أنفسهم.. أو عن
وجودهم الضائع..
إنهم بلا وعيٍ، ينقصهم الادراك.
والاستقامة النفسية.

يتساقطون كأوراق الخريف..

واحسان عبدالقدوس الذي تألق في
(الوسادة الخالية) .. لا يستطيع الانفكاك أحيانا
عن واقع (السينما المصرية).. فقد وقع
تحت سحر (النهايات السعيدة)..
دون أن يمنح الحرية لابطاله في اختياراتهم
الانسانية.

فعندما يصل (البطلان) الى الذروة
في (علاقتهما).. يلجأ الكاتب الى
اصطناع موقف طارىء.
دون أي تمهيد معقول، أو مقدمات
منطقية، فجأة يتقدم (طبيب)
لخطبة (فتاة الثانوية)..؟!

دون التفات الى المحددات الذاتية والموضوعية.

وبنفس طريقة اللامنطق... تنزل
الفتاة عن (حبها) الذي أرقها ليال طويلة
ثم يأتي (الفعل التعويضي) الايحائي
للـ(بطل) المعذور.. فما أن ينغمر بحياة الليل،
ومقارعة الخمرة، والسلوك اللامقيد،

يصحو فجأة، ليثأر من (حبيبته الأولى)
سيّدة الوسادة.. فينكبّ على دراسته،
بطريقة (استظهار وحفظ المواد).. ليظفر بالشهادة.
الجامعية.. فيلتحق بشركة (ويضع
الكاتب في طريقه (فتاة شقراء) ابنة مدير
الشركة.. وتبدأ
الملاطفة.. ويعتمد احسان عبدالقدوس
قانونا رياضيا، (كلما زاد استلطاف
الفتاة للموظف الجديد.. توالت
تلطيفات المدير بالمكافآت والترقيات،
وما أن يتقدم لخطبتها، حتى يكون
قد أصبح مديرا للشركة..
وبذات الوصفة السحرية، ينتقل
الشاب المدير.. الى (السرايا)
التي لا ندري من دفع ثمنها الباهض،
والد الفتاة أم احسان عبدالقدوس؟!
ليس من المعقول أن تكون الوسادة
الخالية على أهمية قيمتها الروائية والحبكة
الابداعية فيها، أن يكون (المضمون)

على هذا النحو الذي يصعب قبوله
أو التسليم بنتائجه.
احسان عبدالقدوس، من يدري
لعله أسقط تجربة مرت به، أو عاشها في شبابه،
فحاول أن يقدم (النتيجة) التي انتهى اليها،
على أنها (قانون عام). من أن (تجربة
الحب الأول) ليست الا وهما من اوهام
التجربة الانسانية. وازاء هذا (التعميم)
و(الاطلاق) و(الحكم الكلي)
يكون الكاتب قد وضع
واحدة من معايير الثقافة والفكر والأدب
في حياتنا
الشخصية والأجتماعية
فقد بات ثابتا في مجتمعنا العربي، بأن
(الحب الأول) هو (وهم كبير)..
وعلينا أن نتجاهل كل من يحب أول مرة،
وننصحه بالاقلاع عن هذا الوهم؟!
وان لم يستطع. فعليه مراجعة
طبيب نفسي، ليحرره من هذه

اللوثة، أو يساعده نفسيا، على تجاوز
(مرض) الحب الأول..
.. ولو أن احسان لم يضع عبارة (في حياة
كل منا وهم كبير اسمه الحب الأول)..
لكانت رواية الوسادة.. واحدة من
النماذج الأدبية الرائعة، التي تعرض لحالة
من الحالات الانسانية
التي يمكن أن تحدث لعشرات او مئات
الناس.. ولكنها لن تكون قانون عاما
والا سنقع في وهم كبير اسمه التعميم،
الذي لايستند الا على خبرة فردية. او تجربة
شخصية عاشها الكاتب نفسه، أو حدثت لأحد
من معارفه، أو سمع بقصة مماثلة لها.

أعتذر عن هذا الاستطراد، ولكن ماحيلتي،
وانت صاحبة فكرة (قراءة احسان عبدالقدوس)
أحاول الآن تهيئة نفسي، لقراءة
أخرى، وان كنت أرغب،
في استيعاب رمزية جبران..

(الاجنحة المتكسرة) و(الملائكة..)
.. ان كتاباته (وجبة دسمة).. ولكنها
ثقيلة تتطلب عقلا نابها
يستطيع التقاط (المعاني)
ويدرك (الغايات)
ويحاول أن يصل الى ما وراء النص،
أو ما يقع تحت ظلال العبارة!
انه مزود بلغة عجيبة،
وبكلمات أو مدركات تكاد تكون
خاصة بقاموسه الفلسفي، لم
يسبقه احد اليها من قبل..

ففي نصوصه من ثراء الايحاء
وتداعي الأفكار وعمق المعاني،
مايمنحه ميزة مضاعفة على
سابقيه ولاحقيه معا،
فكتاباته تُقْرأ مرتين..
مرة بالعاطفة..
واخرى عن طريق العقل.

٢٧

أرأيت (نجمة السرور)؟! أم انك لم ترها بعد؟..
انها (السفينة) التي أعبر بها الفضاءات، فاسيح في
الكون اللامحدود.. وعبرها، أهاتفك،
واكلمك.. وأبثك همومي وشجوني وهي وحدها
التي أودعها (أحلامي وأسراري)..
انها (النجمة) المتألقة الضوء.. أرقى بصحبتها المفازات
السامقة، عقب انحسار النهار، وانطفاء الشمس،
وفور انبثاقها.. تبدأ رحلتي.. اليها، أستلقي
على السطح.. متأملة.. حتى أغيب
عن وجودي كله، واصبح والنجمة،
كونا واحدا، استغرق في أنوارها.. ويبدأ
الحوار بيننا.. أنا أعلم انها دليل الحائرين..
ومرفأ أهل الهوى، واصحاب القلوب الوضيئة..
وأنيس السهارى وقبلة العاشقين..
انها تطلّ على الدنيا أملاً نديًّا بالغد..

تهمس في اذني (جواباً)، حين أسألها عنك
في أي بقعة في هذه اللحظة أنت، تخبرني عن
امورك واحوالك.. فتطمئنني، وتزيدني سلاما،
.. وكثيرا ما أتركك في رعايتها.. أوصيها خيرا
بك.. ألم تشعر بوجودها.. بأنوارها تنفذ اليك
لا عبر النوافذ والأبواب.. بل عبر فؤادك،
أن الذي أقوله ليس وهما لا.. ولا خيالا
منغلقا.. أتعلم لماذا أتحدث بمثل هذه الثقة؟
لأني أودعتها حقيقة قلبي، واحطتها بروحي،
حتى تجيئك رسالتي عبر تألقاتها الوضيئة.
أيها العزيز رفقا بقلبي الذي أودعته بين يديك.

٢٨

ترى ماذا اكتب؟!
وبأي الكلمات أجيء اليك؟!
.. أو تعلمين ما الذي أحدثته نجمة السرور
انها أحاطتني بشعاع عينيك.. لا يروي
ظمأي الا اللقاء بك والتحدث معك
ان انقضاء يوم، ومجيء صباح..

أمر لم يعد ممكنا.. انه المستحيل بعينه،
أو تدرين ما الزمن، وما الانتظار،
وعذاب الترقب؟!
انه (العصر) الممتد بين احتجابك ظهرا..
وبين مجيء اليوم التالي حيث تطلين
عليَّ مرة اخرى
أوَ لمْ تعلمك نجمة السرور
بــمرارة (الغربة) بين (الظهر.. والصباح)؟!
انك تفرين من الزمن الى (النجمة)،
وأنا أهرب من (الدهر) المقيم،
فألقَي نفسي في الطرقات.. أبحث
عن ظلالك.. واقتفي أثر
خطواتك.. حتى أقف قبالة
داركم.. أمدّ بصري الى رواق
الدربونة الطويل..
الباب موصد.
والطريق موحشة.
انها الوسيلة الوحيدة لمداراة الظمأ،
ومقاومة (مرارة الاصطبار)!

أو لمْ تسمعي بـــ(التخاطر)، حين أرد الدربونة،
أمنّي النفس، بأنك ستقومين من مقامك فتشرعين
شباك الشرفة، أو تفتحين الباب..
.. واخشى أن يطول أنتظاري، ويفتضح أمري.
من المتطفلين.. فأعود من حيث جاء بي
قلبي.. أو حملتني الأشواق الى الدّيار!
واعلمي ان مجيئي الى حماك في آخرة الليل،
يخفف عني عناء الانتظار، لكنه
يزيد أشواقي، فيوقدها اشتعالا

بدأت منذ أمس أرقب (نجمتك).. واحاول
الاقتراب منها.. فما ان لمحتها حتى شعرت
بأن قلبي يكاد ينخلع من صدري. فيفرّ
أو يقفز فيطير اليها، ويجري أثرها،
وكأنها ترسل اليّ اشراقات
كلماتك التي تجعلني أحيا،
فأحلم بالغد مرة أخرى.

٢٩

يافتى قلبي النبيل!
كلماتك المعذبة بالأيام والزمن، الترقب
والاصطبار، والسفر الليلي الى المنازل والديار
تفيض أشواقاً بلا نهاية أو حدود.. تغمرني حتى آخر العمر،
وتجعلني أشعر الدفء
الذي يمنحني (عذابا جميلا).. هل يمكن ان
تستقيم العبارة بهذا الوصف،.. نعم!
فان لم يعذبنا الزمن،
ويسهرنا ايلام الليل.
ويشق علينا الانتظار،
ويوجعنا الترقب..
وتمسنا نار الفؤاد الموقدة،
أياما وليالي..
والا فبأيّ قدر نمنح (الحب) روعته
العظيمة ومقامه العزيز؟!
معاً.. نحاول أن نكتشف الكون، .. وان
(نجمة السرور) هي واحدة من موجودات

العالم الذي نشيّد تفاصيله كل يوم.
انه عالم رحب، وسيع.. يزدهر
فيه.. الجمال والخير والحق.. يمتد
الى الناس أجمعين..
.. أو تذكر يوم سألتك ما الذي
تحبه وتهواه؟
أجبتني: أحب كل شيء
الناس،
الارض
الشجر.
الطير..
ونفيت أنْ (تكره) شيئاً،.. لم تعوّد نفسك
الاَ على (الخير)، هذا الذي أريد أن أصلّ
اليه.. لأن (الحب) هو هوية الموجودات،
هو الحق، والخير، والجمال. فمن كانت
هذه حقيقته لابد أن يكون كائناً حقيقياً!
.. أوَ لمْ أخبرك أيها الغالي، بأنني
أُحس بوجودك، واشعر بك في كل وقت؛
وان قلبي يراك اينما كنت أو حللت

نأيت أو قربت في المكان
وعبر الزمان.. وكم من مرة حدثتك
بتفاصيل القيام والقعود، والتجوال.
وكأني الأزمك خطوة بخطوة، ولحظة
بلحظة.. انه شيْ آخر يطوق (آليّة
التخاطر).. انه (السكن) الداخلي،
ومنازل (الوحدة)، ومقامات (الذوب
والفناء).. اني أعيش داخلك،
أحلّ في خلايا دمك.. مثلما أحملك
معي، تسكنني،.. واحاورك
كما أحاور نفسي.. لأنك تمتدّ في
وجودي كله..

ألم يحن الوقت بعد،
لأن نلتقي..
موعدنا الجسر.
الاربعاء.
الثالثة عصراً.
ولتنعم بالسلام

٣٠

الأربعاء مرة أخرى، ويتوافق الزمن يستعاد
في الثالثة عصراً
وعلى الجسر (المسَمى) بيننا،
نعود اليه مجُددا..
باقٍ على لقائنا يوم واحد.. أربع وعشرون ساعة.
غداً.. متى يجيء!
التقطت يدي جبران وقرأت:
".. قد لا يبلَغ المرء الفجر
الاّ عن طريق الليل"!
يشق عليَّ الاسترخاء.. فما بالك بالنوم؟!
.. سأمضي المساء.. وسأعبر الى الصباح
سآتيه.. سأكون صاحياً قبل الفجر..
لن أنتظر الشمس
بل سأشرق قبلها..
.. الزمن يتمدد.. وكأنه لا يتحرك..
تمضي الدقائق ببطء عنيد..
كأني أتآكل..

متى نمتلك مفتاح السرّ،
ونصنع تقويماً جديداً،
فنصمم زمناً آخر.. تسقط
منه الرتابة. وينتهي فيه التكرار
والسلام ختام

٣١

الثالثة عصرا..
لم أُحط علماً بمن حولي، لم أرّ
أياً من الموجودات العربات. الضجيج. الاكتظاظ..
تصبح الأشياء وهماً
تنتهي الحركة. وتنتفي المسافات
يتوقف الزمن!
الاَ (أمل)، الحاضرة التي لا تغيب،
لمحتها قمراً يشرق في أفق الطريق
تتهادى.. كما الناقة البيضاء
ثمة طاقة ضوئية. غير مرئية،

تنفذ من عينيها الى أعماقي
تختلج الأوصال، وتنتشي الروح،
فيغني القلب.
إلى مَ ننتظر؟! والى مَ هذا العذاب؟!
متى نضع حداً للمعاناة..؟!
فنأوى الى ظل ممدود على الأرض،
بيتاً. خيمةً. نخلةً تضمنا معاً
الى الأبد
أطلّت: فألقت السلام.. مساء الخير.. تأخرت دقيقتين،
حسبت أن خطواتي منتظمة،
التوقيت.. لوْلاَ الزحام

دقيقتان من الترقب. والهواجس،
والاسئلة
نحن مصابان.. بمرض الوقت،
وحمىَ الزمن، واوجاع الأيام.
الساعات. الدقائق والثواني!
ان هي الا هنيهة أو جزءاً من الثانية.
حين قطعنا الجسرَ بخفقة ضوْء.

تُرى أيّ طراز من المشاعر يطفىء الزمن
على هذا النحو العجيب؟! غير الأحساس
المفعم بـــ(حضور) الآخر؟!
لمَ يمرّ الوقت بهذه العجالة الفائقة؟!
أترانا طيوراً؟ !
أم تباركت خطواتنا، فصارت تطوي
المكان طيّاً؟!
وما السرُ عند الترقب تستطيل الليالي،
تصير تأريخا من الانتظار:
"رباه كيف تمدّ أرجلها الدقائق، تجمدُ تستحيل الى عصور"*

الساحة ملأى بالعربات، الربلات:
وقرأنا: محروسة أبي عبدالله..
سيري وعينُ الله ترعاك
محبوبة سبع الدجيل..
الحسود لا يسود..
تختنق الطرقات بالآتينَ..

---

* خليل حاوي. نهر الرماد ٦١ .

ومررنا بـ(الشرطيّ) و(الحوذيّ)..
ونداءات (السكنية) و(السواق): نفر واحد.!
عم تروح؟!

واجتزنا سوقَ الوراقينَ..
أومأ طيرٌ أخضر.
يرنو للعشاق الآتينْ
ينشىء لحن العسل بين ظلال التين
.. في آخرة البستانْ.
يلج الجمل الآتي من بادية الشام ثقب الأبرهْ
يحلُمُ أنْ يتسع يوما فيضّم ناقته..
الهاربة الحمراء
كيما تؤنس وحشته في آماد الغربةْ
فيلوذ بدفء الذكرى..
قد ينسيه (القرْبُ) أحزان الهجر
وتدور في أفق البستان الملكة
تبحث عن سدرتنا الأولى
عن ظل يؤوينا أبدا..
وقبالةَ آخر نهرٍ في لغة الورد
قبضت بيديها جمرَ الغد..

وأقامت في محراب الصمت..
.. غابت..
ومضت
وفراشات (كرادة مريم).. بباب الريح
ترقب أن تأتي قداح البستان..
طال زمن الوصل..
وتناءت بالملكة
أسفار الغيبةْ.

٣٢

قل لي: أين أنت؟!
ولماذا نأيت؟!
تدور العين في الأرجاء.
في الطرقات وعلى النواحي.
ويتلفت القلب ما بين الريح والشمس.
ما بين الآن والآن..
ثمة أطوف حول الظل
أسعى اثر خطوات العصفور..
ترى أين أنت؟!

في أي الانحاء مضيت؟!
الاسئلة تتوالى
أصغي لنداء الفجر..
يأكلني الضجر عند باب الضحى.
عندما تنقطع عن الكتابة.
فان قلبي يتوقف عن النبض!
.. لم تطيل انتظاري على هذا النحو الموجع؟!
ان اليوم الذي يمر علي دون أن أسمع
صوتك، أو أقرأ كلماتك، يزيدني ايلاما..
فليس الذي أعرفه الا تقويما محددا،
بالغ الألفة، شديد الخصوصية، هو زمننا نحن
أنت وأنا..
قل لي بالله لم تدعني فريسة للهواجس،
حتى تأخذني الأفكار يمينا وشمالا..
خلال الليالي الثلاث الفائتة، كدت أجن
بعد أن بحثت عنك في الطريق الذي
اعتدنا أن نلتقي فيه صباحا، وعند
العودة من المدرسة ظهرا..
لقد اشتد بي الحزن، وعافت نفسي الطعام.

ولم اعرف النوم على مدى اثنين وسبعين
ساعة أو قل (اثنين وسبعين سنة)!
توقفت أمام باب داركم..
بل قل انخذلت خطواتي.. فلم أعد
قادرة على رفع أقدامي عن الأرض..
.. وكدت أمد يدي، فاطرق الباب عليك..
.. بل حاولت في لحظة غياب الوعي أن
أهتف باسمك.. لولا بقية من عقل،
وقليل من الصبر..
.. ترى كيف السبيل الى اليقين؟!
بدأت أكلم نفسي.. أحادثها
حوارا مستديما..
الاسئلة تتوالى..
تدق الجدران،
الأرصفة
تنزل عاصفة..
تقتلع الأبواب..
وتطيح بالورد، الشجر. الحلم..

العقل يسقط في فخ (الشك)...
(الايهام).. (العتمة)، والتيه
فيما تأتي الأجوبة.
ضامرة المعنى
واهنة المضمون،
أحمل جسدي الى النافذة،
أصوب عيني على الدرب..
وأطل على مفترق الأزقة
قد يأتي الآن
يمّر كعادته عصرا.. وقبيل المغرب
ووقفت ساعات.
والغائب لم يأت.
ولم أجد الا الدمع.. ثم انغمرت بالكآبة والضجر والبكاء!
.. هأنذا اكتب اليك، ولا أعلم هل سأراك
صباح غد أم لا، .. ليس امامي الا السهاد
والحمى، والانتظار..

٣٣

اليوم   الرابع..
ما أشقاني.. بالحزن المقيم..
ماذا حدث؟!
أين أنت؟!
لا أحد يجيب عن أسئلتي،
أو يطفىء نار الشوق..

٣٤

اليوم   الخامس..
ليس ثمة بارقة من أمل..
لا أثر.. ولا اشارة تومىء
بأنه سيأتي، أو يطلّ
لعله يخرج الآن   السابعة والنصف
هذا ميعاده الثابت..
امدّ بصري الى الباب..
ليس اِلاّ الصمت.

٣٥

اليوم السادس.

يالهي.. ماالعمل؟

لَقد توقف العقل..

ولم يعد ما أدخره لمثل هذه الأيام الفارغة،

الا الدعاء..

يالِهي.. أظهره..

.. وتدور في الراس عشراتُ الأفكار.. (الفكرات)

فكرة تتلوها فكرة..

والفكرة تطردها أخرى..

وأظلّ أدور.. وادور كالناعور..

هل ثمة طارىء!

.. الغيبة طالت..

والأشواق تتقدّ ناراً منذ اليوم الثالث..

.. أين هو الآن؟!

والوذ بنفسي.

.. ثمة أُلقي البصر عبر الدرب..

الهي.. أظهره..
اجلبه اليّ..
لم أذق النوم..
والغيبة موت.
عدْت الى الرسائل.. أحاول الاستئناس
بروحه.. واطوي الزمن المر بين الكلمات،
.. قرأت الرسالة الواحدة مرات.. مرات..
انها أغنيتي ونشيدي.. استظهرها
غيبا، كلمة كلمة، عبارة عبارة.
والحرف الواحد فيها.. يشكل الوجود،
ويمنحني الغبطة..
وتحملني العبارة المفردة منها،
الى فردوس الفرح.
والى جنات التوق..

٣٦

اليوم السابع..
..حاولت صباح اليوم أن أسأل
صبيا، يقف عند بابكم.. وحين

اقتربت منه، اضطربت، وفشلت محاولتي
وظل الصبي ينظر الي بتعجب،
واستغراب.

٣٧

ليل اليوم الثامن..

بكيت.. حتى أتعبني النشيج..
فآويت الى النوم..
.. لم يعد ثمة اهتمام آخر يشدني الى شيء
من موجودات الدنيا..
فعقلي وقلبي يستغرقان في نقطة واحدة،
هي (الغياب) المفاجيء، دونما تفسير،
أو تسويغ..
.. صحوت قبيل الفجر..
.. وأنا أرقب الطريق من وراء الشباك..
لعلي كنت أمني نفسي بـ(معجزة)!
اختلطت علي الحقائق بين
الوقائع والتصورات!
الوجود بلون الرماد.

بدأت الوجوه تفقد سيماءها..
وانحلّت الألوان..
.. والجفاف يقتلع وردة الجوري،
.. السكينة تلف الكون
تتبدد المرئيات من حولي، ويتلاشى المكان..
وليس ثمة الا ضربات القلب،
وانين الساعات الطوال،
واستمرار الليل الذي بدا
دهرا متصلا
النافذة المشرعة
على الطريق.. مرفأي المستديم،
اتكىء عليها.. انها
الشيء الوحيد الذي يجعلني
أحيا،
لا أفارقها الا لماما،
.. بدأت أحاور النافذة..
لعلها تعينني،
.. تمنحني صبرا جميلا..
.. وهي تسمع دعائي..

وبكائي..
وانين فؤادي.
.. ترى أين هو الآن؟
ولم غاب فجأة؟!
ومتى سيعود؟!
وتنفتح الاسئلة..
الاسئلة..

٣٨

اليوم التاسع

اثر الأنتهاء من الدرس الأخير
أشارت الي المدرسة(؟) أن ألحق بها،
قالت: أراك ساهمة طوال الدرس..
منذ الاسبوع الفائت.. وأنت
في حالة صمت مطبق.
لم أعتد منك ذلك،
فأنت احدى طالبات الصف
المتميزات،

ما الذي جرى؟!
هل ثمة مشكلة أسرية؟!
أم هناك ما يجعلك منشغلة
عن الدرس..؟!
أرجوك أن تحدثيني.. فأنا أحاول
معاونتك.. وأنا مرشدة
صفك، مسؤولة عنك؟
.. هكذا اذن، بات أمري بينا لكل ذي
عين .. وهو الأمر نفسه لدى صديقتي
(و)، التي لم تكف عن القاء
الاسئلة منذ أيام!
وأنا لا املك الا اجابة واحدة.
"لا يوجد شيء"! فقط أشعر بأني
(متعبة)!!
آه لو يعلمون.. ما تعلمه الحجرة
الموصدة، والطرقات الموحشة..
ولیالي الأرق الطويلة الأمد ..
حتى الزمن يبدو عصيا بلا انتهاء..
انه جرح مفتوح ينزف كل حين..

وماذا يعني صمت الكون!
غير لغة أخرى،

٣٩

اليوم العاشر

من يصدق الذي يحدث الآن؟!
فقد انتقلت اليوم الى مرحلة اخرى.
غير الحوار مع النفس،
والحديث مع النافذة.
اليوم بدأت أراجع الأمكنة التي
أمر بها كل يوم ذهابا وإيابا،
هنا التقيته أول مرة..
وفي هذه الناصية أحتضنت
رسالته الأولى..
وهناك عند مفترق الأزقة،
تبادلنا التحية..
وفي رأس هذا الدرب وضعنا
الخطوة المشتركة.. فمضينا متجاورين

نطوي المسافة بين البيتين..
.. وفي هذا الوقت، عند الساعة
الواحدة بعد الظهر رأيته آخر
مرة قبل عشرة أيام..

٤٠

الليلة الحادية عشرة

أتراه مريضا.
فأقعدته الأوجاع!
ياالهي، لم غاب عني فجأة؟!

ان هذا الاحتمال وحده
كاف لأن يجعلني تعيسة
ويضاعف آلام الغيبة!
انه يشقيني..
اختل النبض..
أحسست بالاعياء
جسدي ينتفض..

يسكنني البرد..
وتنتابني القشعريرة
فأرتجف
تصطك أسناني..
لم أعد أقوى على الوقوف
سقطت عند النافذة!

٤١

الليلة الثانية عشرة

علمت اليوم بالذي جرى ليلة أمس،
فقد حملوني الى السرير
وأنا في حالة اعياء شديد.
وجيء بطبيبة الى البيت
.. زرقتني (حقنة) قالت:
تشكو من ضعف عام
بسبب سوء التغذية:
انها المرة الاولى التي أغيب فيها
عن المدرسة..

عندما حاولت أن أنهض من فراشي،
واخطو نحو النافذة، شعرت بدوار
عنيف، يلوي عنقي،
فتشبثت بحافة السرير وعدت اليه
خشية أن أسقط أرضا..
واكتشفت بأن القراءة
تصيبني بالدوار أيضا..

ووجدت أن أفضل اسلوب
لمعالجة وضعي المضطرب،
هو أن الجأ الى النوم.

٤٢

الليلة الثالثة عشرة

.. منذ الليلة الفائتة لم أتناول طعاما.. باستثناء (برتقالة واحدة).. وحقنة في الوريد قيل أنها (مقوى) B.12..

تحدثت الطبيبة بصوت انفعالي آمر: "انك تقتلين

نفسك عمدا اذا مضيت في صيامك.. وان
العزوف عن الآكل ورفض الطعام سيضاعف
حالة (الانيميا) مما يعرضك لأمراض
أخرى، بسبب ضعف المناعة في جسدك.
من يأتني بصديقتي (و)، لأني أشمّ فيها رائحة
(دربونته).. ولعلها تأتيني بخبر عنه.. فقد
وعدتني أن تستطلع نبأ غيابه..
سوف أحاول أن أحيا في انتظار النبأ اليقين..
ياالهي ابعث بها الي غدا.

٤٣

اليوم الرابع عشر

.. نزلت اليوم من (السرير).. لم ألبث الا ساعة من وقت،
حتى عدت ثانية اليه..
رجوت أمي أن تبعث أخي الى (و) لتأتي الي،
لمعرفة أحوال الدروس والواجبات..

تمنّعت أمي في البداية، إلا أنها وافقت على تلبية
رجائي بعد الحاح شديد.
عصر اليوم الرابع عشر أطلتْ (وفية)..
فاحتضنتها.. وبكيت..
وعندما ألقت في أذني
عبارة (عندي خبر الغائب)..
توقفت عن النشيج..
وانتفضت حواسّي كلها.. أمسكت بيديها
أستحثها أن تأتيني بالنبأ
العظيم..
وبدت المسافة بين
العبارة الأولى.. والحديث التالي،
وكأنها لحظة الوجود والخلق
تختزل الحياة كلها..
قالت (و): اطمئني إنه بخير.
ليس مريضا..
ولم يحدث له عارض..
ولكنه كما عشرات غيره رهن
(الحجز)..

وصرخت: ماذا تقولين،
أسألك أن ترحميني،
لاتتحدثي الغازا..
قولي بربك أين هو الآن؟!
قالت (و): اقتادته الشرطة
من مدرسته .. وهو الآن
(معتقل)! منذ
أربعة عشر يوما.
نزلت كلماتها كالصاعقة.. زادت النار في كياني
اشتعالا.. والححت عليها أن تفيض في
كلامها..
فأجابت: هذا الذي عرفته البارحة فقط
من جارتهم (أم خضر)
والذي علمته بأنهم مطمئنون
على أحواله.. وان أباه زاره
قبل يومين..
فقاطعتها. "ماهي التهمة؟"
أجابت "سياسية"
فاستوضحت هلعة "متى يخرج".

أجابت: يقولون أن عفوا سيصدر
يشمل الطلاب كافة..
فاطمئني.

٤٤

الليلة الخامسة عشرة

.. بعد أن علمت(السبب)، وعرفت (النتيجة)، أصبح كل شيء واضحا.
الا أمرا واحدا، هو استمرار مكابدات الغياب والانتظار.
بدأ الأمل يرفرف في قلبي من جديد.
وعاودت التشبث بالنافذة. اذ بدأت أشعر بأنها أصبحت بمثابة (طاقة الأمل)، معنى اضافيا آخر للترقب والتوقع والانتظار. أطلّ منها على الحياة..
وأقول لنفسي: سأراه.. وسيأتي ولو بعد حين!
ليس ثمة ألم في الدنيا أشق على الانسان من الانتظار.
الذي يجعل جرح الفؤاد نديا فاغرا عذابا مستطيرا..
فلاتغمض عين ولاتهجع نفس،.. بل يزداد الايلام
شدة وعذابا كلما انصرم الوقت وتوالت الأيام..
البصر. القلب، الروح، معلقات في الشباك لاتنفك

نظرا توقا. شوقا.. تطوف بزوايا الدربونة وعلى الجدران،
تنتظر الغائب،
الذي سيأتي ولو بعد حين!

٤٥

*المعتقل (خلف السدة) اليوم العاشر ١٩٥٩/٣/٢٥:
العزيزة

لا أدري كيف أصف خيبتي، وبأي اسلوب اكتب الآن،
وانا أتلقى مثل هذا الخبر السيء، خبر تدمير وحرق مكتبتي الصغيرة.
بعد أن عمدت (عمة أمي) الى القاء الرسائل والاوراق الشخصية وكتبي، في (التنور) الموقد، فأتت النار على كل الكلمات والأفكار. وقد سوّغ أهلي الفعل الوحشي، بأنها قامت بما قامت به فور سماعها نبأ اعتقالي. فخشيت. ان يكون بين الكتب والأوراق، (مناشير أو بيانات سياسية) تمسّ الحكومة!
اشتد بي الضيق، وآثرت الانطواء على نفسي. وخلدت الى النوم مبكرا..
لا أدري كيف، وأين، أو متى تقرأين هذه الكلمات.
ربما علمت أو لم تعرفي حتى الآن طبيعة المكان الذي أقيم فيه؟!

ولعل احتجابي عنك، وغيابي المفاجيء. جعلك تســـالين، وقــد تكــون (و) جارتنا قد أسرّتك بما آل اليه حالي، أنا الآن محتجز في معتقل (٠٠) خلـــف السدة، بعد أن تمّ اقتيادي من ثانوية الكرخ الـــى (مركــز شــرطة ســوق الجديد)، لعام ١٩٥٩/٣/١٥ .. ثم حولوني الى مركز شــــرطة الجعيفــر.. وتنقلت بين أمكنة عديدة خلال الأيام الأربعة الأولى. وهذا حديث يطول.

ليس بمقدوري أن أكتــم أشــواقي لــك، بعــد أن ضاعفـــها واكدهـــا الاحتجاب.. لقد عودت عيني على رؤيتك صباح كل يوم.. لايشغلني شـــيء جدّي الا أنت،

حتى الوقوع في القيد والاِحتجاز رغم وطأته في مثل هـــذا المســـتطيل المحكم، فأنه لم يؤثر حتى الآن على تماسكي النفسي، وتفاؤلي بالغد. بـدأت أعتاد الحدود المغلقة، واحاول التكيّف للشروط المقيدة للحركة والاِمتـــداد.. طالما كان العقل طليقاً.. والارادة تحتفظ بحرارتها حتى اللحظة.. فهي قادرة أن تنفلت من أبعاد المكان..

لم أسعَ يوماً الى بطولة متوهمة، ولم أختر أن العب أي دور. باســـتثناء موقفي (الفكري).

ولكن قد تمنحني (التجربة) شيئاً حقيقياً. يؤول الى معرفة موضوعية. ثمـــة أخلاط متنوعة. العقول والنفوس والطباع.. ومستويات دراســـية وثقافيـــة ورصيد من الآراء والمواقف والرؤى. ممالم اعهده من قبل. ومـــن أراد ان

يتعلم شيئاً مفيدا فبإمكانه أن يطل على الكثير من المعطيات في المعرفة والحياة.

لعل من النتائج الاولية التي يمكن للمرء أن يقف عليها هنا، دون عناء. هي سجايا الصحبة المفعمة بالألفة والمحبة.

٤٦

..الليلة السادسة عشرة:

عاودتني الأحلام،
هوذا يأتي، من أقصى الزقاق، يلقي نظراته على نافذتي.
أراه ولا يراني..
أسمع نبض فؤاده.. ولا يلتقط صوتي وندائي،
هوذا أراه شاحباً وحزينا..
يطوي الزقاق جيئة وذهاباً.. حائرا مهموما..
واذ أعياه الانتظار..
فأنه عاد من حيث أتى.
واخفق صوتي في الوصول اليه..
عندها استيقظت وأنا في حالة حزن،

فأنشأت هذه الرسالة:
لعلك ستعلم يوماً ما، حين تنبسط
الحقائق بيننا، ما الذي يتسبب فيه البعد،
والنأي، والفقدان؟!
معنى أن تصبح وحيدا في مواجهة فراغ الزمن،
وصمت الأمكنة، وجفاف الأوقات!؟
هذه ليلتي السادسة عشرة، وأنا أتقلب بين كابوس وآخر.
بين الفزع والهذيان
بين الحمى والآلام..
أحاول التقاط ملامح صورتك،
ظلك، نبرة صوتك. وتستمر المحاولات حلما اثر
حلم.. بعد أن فارق بيننا الحدث الطارىء، واصبح
اللقاء صعب المنال.
فيما يحتشد صدري بالأمل.. فاعلّل نفسي بأنك لاريب
آت بعد حين.. فأرنو الى الزقاق..
وامضي وقتا طويلاً أمام النافذة.. واطيل
الوقوف أمام داركم.. وأتحدث مع نفسي،
"قد يسمع هتاف قلبي فيطلّ.."
هكذا تمضي الأيام بالترقب والانتظار.. أسعى

دوماً الى تحطيم ترتيبات الواقع المفعم بالتكرار والرتابة
في المدرسة والبيت.

وعندما يحين الوقت، يصبح
الحلم ممكناً، واقعا، وليس لي الا الحلم
لعلّي أراك مرةً.. مرة واحدة..

٤٧

المعتقل اليوم الخامس عشر ١٩٥٩/٣/٣٠

أستذكر كل اللحظات.. حتى الميتة، المنسية،
يأتي الزمان والمكان معاً، ومعهما تفاصيل
عالمنا الجميل، الهمسة، الابتسامة، الكلمة
اكتظاظ العقل بالمرئيات والظواهر وجزئيات
حركة الدنيا من حولنا.. الزقاق. النافذة،
يدك التي تلوحين بها من وراء الشباك
المطفأ..
الآن أقرأ ولمرة ثالثة رواية ديستوفيسكي
الرائعة (حب وحرمان) فأقف الى جوار
الأبطال وهم يكدحون لاقامة حياة سعيدة،
آمنة، تجمع العاشقين..
تلك (بربارا) تنزرع في الشرفة عند
اشتداد الأشواق، ترقب عودة
حبيبها من العمل.. وليس ثمة
الا ما تجود به اللحظة من نظرات

على مسافة عشرين متراً.. وليس
الا تلك الرسائل المفعمة بالحزن والأسى
.. تحملها المرأة العجوز الواهنة
العود،
.. تتوالى الكلمات.. وتتواصل النظرات،
بربارة تشكو آلام (السلّ).. ذلك
المرض اللعين، الذي جعلها لا تقوى على
الوقوف طويلاً في الشرفة الباردة،
وبدأت نوبات السعالّ تهدّ جسدها
الواهن وتجعله حطاما..
.. ويأتي (المحبوب) في آخرة النهار
وقد نال منه التعب المرّ في منجم الحديد!
لقاء أجرّ زهيد لا يكاد يسدّ رمق الوجبات الثلاث.
يأوى الى غرفة باردة موحشة، والى
فراش متآكل، رثٍ عتيق.
كلاهما يبحث عن الدفء والحوار، والمجاورة.. لم يلتقيا بعدُ.
الاّ على صفحات الرسائل..
.. وعندما يعود كعادته عقب غروب شمس موسكو
لايجد ألا الصمت.. والشرفة فارغة، والوجه الأثير قد

غاب عنها.. أين؟..
ويرى (المرأة العجوز) ـ رسول الحب ـ تنادي
عليه بصوت متحشرج، كالأسى.. يقترب
منها.. تعلمه بأن بربارة سقطت مُغمى عليها،
وهي الآن في المستشفى المجاور.. قد ترتحل في أي وقت
وقد لا تلحق بشمس الغد.
يهرع .. مهرولاً.. ويقف أمام سريرها
فتمد يداً واهنةً تلتقي يده.. يضم أصابعها بين راحتيه..
يغمرها بالدمع والقبلات.. هذا اللقاء
الذي انتظره العمر كله.. يجيء في غير موعده.. تعصف
بقلبه الأشواق ويهزه الحنين والبكاء..
هي ذي سيدة القلب لا تقوى على الكلام.. تتحرك
شفتاها دونما صوت، يدنو منها، ثمة يقترب،
يحتضن الجسدَ الذاوي، يشعر بأنفاسها البطيئة..
وفجأة يسقط رأسها بين يديه..!

٤٨

يوم آخر ١٦

اكتشفت اليوم بأن (المكان)، ليس محض أبعاد
هندسية، أو خبرة بصريّة.. انه شيء آخر تماماً،
اننا دون أنْ ندرك، نودع هذى الدار، وهذي
الطريق، وذلك الدرب، وتلك الناصية،
نودع الأمكنة ذات القدر من حبنا، الذي
نحمله الى من نحب ونهوى.
لأن خطوتك مرت يوماً من هنا،
ولأن هذه الدار بيتك..
وهذا الزقاق الذي ألفته صباح الأيام..
المكان بهذا الاحساس العميق المفعم بالذكرى
والشجن، هو أنت، أو هو امتدادك الذي
أشعره قائماً بك،
أتعلم ماذا فعلت بمجرد أن أكتشفت سحرّ المكان
وسرّه، عدتُ فور وصولي الى البيت الى ديوان

العشق (الجاهلي) أقلب الأوراق وقلبي
ينتفض لآقف مع العشاق الأول قبالة
الاطلال..

٤٩

يوم آخر ١٧

أَصابني ظهر اليوم فزع كاد يسقطني أرضاً، بعد أن
أصبت بدوار شديد، اثر دخولي السوق، حيث جرت
معركة وحشية بين رجلين، استخدما فيها (سكاكين)
شبيهة بالسيوف.. حاولت الفرار، والقاء
نفسي في زقاق جانبي، بعد أن أغمد أحد الرجلين،
السكين في صدر الآخر.. فانفجر الدم شلالاً..
على الوجوه والجدران!
ياله من نهار مشؤوم.. جافاني النوم..
قلبي مضطرب.
واشعر بالدوار بين حين وحين.
حاولت أن اقرا شيئاً من دروسي ففشلت،

وتناولت كتاب (الاجنحة المتكسرة).. فغابت
الكلمات بين السطور!

٥٠

ليلة أرق ١٨

تُرى ماذا بوسع محتجز مثله أن يفعل الآن؟!
هل خطر بباله أن يحاورني، مثلما أفعل الآن..
أم تراه منشغلاً بشيء ما؟!
هل يكتب؟! يقرأ؟!.. أم أن الأوراق
والكتب لا تتوفر في مثل هذا المكان!
.. كيف يحتمل الأنسان شرطاً مفروضاً
عليه، يقيّد حركته، ويعطل خياراته؟!
.. هل ثمة شيء في الوجود يلهيه عنيّ،
أم تراه مثلي، لايدع لحظة واعية تمرّ،
أو حلماً ينفلت دون أن يكون طرفاً
فيه.
لعل الذي أعانيه هو نفسه، الذي يعذبه،
انه حقيقة مشتركة بيننا..

قد يكون هذا (اكتشاف) آخر لأحد
قوانين (الهوى).
اني هناك معه.. والدليل المؤكد لدي الآن
انه الآن معي،..
الساعة الثالثة صباحاً
.. هل ألقى بصره على ساعته، مثلما
فعلت؟!
انه يتقلب في فراشه.. يحاول أن
يلتقط غفوة.. بعد أن حاول
النوم.

ولماذا نقاوم الأرق؟!
لماذا لانتخطى النوم؟!
ان أية لحظة تنفلت من أعمارنا،
تزيدنا هرماً..

أية عافية أروع من انك تعايش (المحبوب).. تستعيد الصور الغائبة معه.. وأي انس نفسي أعظم من تلك الخطوات المشتركة بصحبته وسماع أحاديثه، وعذوبة الكلمات بيننا..
.. لم الهجوع اذن!

.. أستذكر الآن مضامين شعر عمر الخيام..
واحاول أن أمسك بالبيت القائل..
"فلا قصَر في الأعمار طولُ السهر.."
.. لم يعد (الأرق) لديَ مدعاة للشكوى، انه
لقاء آخر.. وحديقة أخرى..
.. قد يكون وسيلة أخرى للوصال مع المحبوب،
وانْ بعدت المسافة، أو نأى الطريق
لانه يقف فوق نفس الجسر الذي أُقف
عند بوابته الآن.. فليأتني او سوف
يجيء.. أو أمشي اليه..
وسوف نلتقي معاً.. حتما..

٥١

طير الليلة التاسعة عشرة
حطّ على شرفة شباكنا المفتوح على الطريق، طير بلون الرماد
.. أفرد جناحيه مرتين.. أدركت أنه يلقي السلام،
فحييته بأيماءة من رأسي، ورفعت يديَ اليه،
بحبات (الرز).. بدأ يلتقطها بشغف واحدةً واحدة..

مررت براحة يدي على جناحيه.. وجدته أليفا..
.. سألته: ماسمك..، نظر الي مندهشا.. ثم
ما لبث أن عاد لالتقاط حبات الرز..
.. سألتك الله أن تسمعني، التفت، أومأ براسه
موافقا..

ترى هل تعدني أن تحمل عني (اليه) رسالتي،

أومأ الطيرُ برأسه مرتين، علامة مؤكدة على القبول.

".. الأبواب موصدة..
والأيام تمضي فارغة، ملأى بالايلام..
والوجه الغائب لم يأت بعد..
وأنا وحدي في هذي الدنيا..
لا أحد يسمع فيها شكواي..
.. أو يعلمُ
نازلة النأيِ.. وأشواقَ الهجران..
فالبعد يطوي أيامي حزناً وعذابا
الأبواب من حولي موصدة خرساء..
والصمت حبال ممدودة للأين..
.. لازلت أرقب عودته يوماً.."

٥٢

صباح آخر ٢٠

هل أتاكَ حديثُ الشرفة في اول الليل، وأباح لك الطيرُ
بسرّ الفؤاد الغريق في فاجعة الصمت لم يعد ثمة من سبيل
إلا ان التمس الطير فأُقرئه السلام وابثه
أحزاني، فاستجاب لرجائي..
.. تُرى هل أتاك بالنبأ اليقين؟! .. أم ان الريح
خذلته ؟! فولى وجهه صوب جهة اخرى..؟!
لعله آثر أن يحمل كلماتي الى كل المعذبين
في الأرض .. وان فعل .. فانه يدرك بــ(وعيَه)،
ان (الحب) حقيقة واحدة، لا التباس فيها ولا تأويل لها،
انها تنتمي الى كل الشعوب.. وتخص عموم الأجيال.
فــ(الخير والحق والجمال) ــ نصيب الانسانية منذ
البدء حتى الآن .. لعله أدرك هذه المعاني ، فآثر
أن يكون (الخاص) عاماً- انها ليست اكثر من عملية
استقراء أولية، بوسع الطير النابه الذكي أن يجريها بمنتهى

البساطة.
.. حدثت صديقتي (و) عن الطير، فكادت تصرخ،
لو لم أضع يدي على فمها.. اتهمتني بـ (الهذيان)..
ووضعت يدها فوق رأسي، خشية اصابتي بالحمى..
.. لم تتردد من القول ".. انكِ في الطريق الى
(الجنون) .. وان أولى اماراته الهذيان.. والحديث
الى الطيور .. من يعلم قد تخاطبينَ الجدران غدا
أقسمت عليَّ قائلة: الله. الله في صحتك..
وسلامة عقلك".
.. لم أجد اجابة محددة على هلع الصديقة واشفاقها..
إلا أن أهوِّن عليها الأمر..

٥٣

الليلة الحادية والعشرون:

أطفأت المصباح في الواحدة صباحا،
عُدت ثانية، فأضأت الغرفة في الثالثة
صباحا .. شقَّ عليَّ النوم.

هأنذا أمسك القلم، وابسط الأوراق
لأكتب لك.
.. أينما تكن الآن . نائماً أم صاحياً،
أقرئك السلام والأشواق. والتوق
اليك، الى كلماتك!
.. هأنذا عقب غيابك، لم أجد أحداً
أتحدث معه، أو اكتب اليه،..
فأنا أكلم نفسي، واكتب لها
.. وكثيراً ما أجري الحوار مع الجدران
والكتب والأوراق، لقد صدقت
(و) فيما ذهبت اليه أمس، وهي تشفق
عليَ فتوصّيني الرحمة بعقلي..
من أين أبدأ رسالتي.. لعلَ اللحظة
القائمة، هي أكثر الأزمان حقيقة،
وصدقاً. أحيا الآن حُلُماً ــ باهتاً ــ
تذوي فيه الموجودات من حولي وتفقد
الحياة معانيها، فالألوان فاقعة،
ولاشيء الاّ الصمت المريع الذي
يوقف الحركة. فينتهي الزمن!

يتحول الى كتلة صماء. ثقيلا
بغيضا. الموجودات والكائنات
تحولت الى أكوام وكتل فيزياوية
باردة.
الأشياء من حولي تبدو كما لو أنها (تركة ميت)!
أنظر الى (الركود) الذي يشبه جثث الموتى،
لا ليس تشاؤما. اني أعني ما أحس به،
أقوم، أنهض، فافتح النافذة ذات
الصرير المتتالي، القي البصر على الطريق..
ليس ثمة الا الهجوع. والظلمة الفارغة.

واتساءل ما الذي أقدمت عليه، حتى تلقى
هكذا وراء الجدران الغليظة.. وحتام تبقى بعيدا،
مقيدا، مرتهنا.

بدأت أخشى أن يطويك غلاظ القلوب
زمنا طويلا..
الأيام تمر، والساعات تتوالى، وليس
من خبر يسر أو بارقة من أمل تلوح.

كيف السبيل اليك!.. أكاد أجن!

٥٤

الليلة الثانية والعشرون

قد تقرا رسالتي (الليلة الحادية والعشرون) فتتهمني
بـــ(الاحباط).. ولكنها لحظة الوعي التي توقظ مشاعري
الخبيئة .. انها تأريخية (الحالة) القائمة الآن الآن.
وخشية أن تضيع في زحمة المشاغل أسجل نبضاتها بكل
عنفوانها وخيبتها، فلقد نال مني فراقك،
وأتى على عافيتي.. وليته انتهى الى هذا
الحد، فما قولك وقد بدأت أكلم نفسي واحاور
الجدران، واتحدث مع الطير!.. واعدو وراء الظلال؟!

٥٥

.. وفي الحادية عشرة قبل الظهر حرر الرسالة الآتية:*

العزيزة

.. لعل الحديث عن أشواق الأسابيع
الثلاثة التي أمضيتها بعيدا عنك،
يتعذر تكثيف وقائعها بالكلمات،
أو وصف لياليها بعبارة موجزة،
.. لكنها ليست أقل من (تجربة) فيها
من الدروس، والعظات الشيء الكثير.
لقد أفرج عني ضحى هذا اليوم.
أشعر بمذاق الحرية الذي
لايعادله شيء في الدنيا، وأنا اكتب

---

* ملاحظة:

بعد أن أمضى (٢٢) اثنتين وعشرين ليلة. رهن الاعتقال أفرج عنه بكفالة مالية ضامنة قدرها (٥٠٠) خمسمائة دينار، تعهد بها ابن عمه مهدي عبدالجبار طه الذي جاء برفقة أبيه، فاصطحباه من (السراي) الى الدار.

اليك الآن.
.. لعل حاجتي اليك والحديث
معك، تفوق أية رغبة أخرى،
اني أضمك الى قلبي الآن والى الأبد!

٥٦

في الواحدة بعد الظهر.. اقترب منها، فأقبلت عليه،
تملأ الدهشة قسمات وجهها، لاتدري ماذا تفعل،
ولا يعرف هو كيف يتصرف.. اضطربا..
وانبثقت الكلمات.. والتأمت الجمل.. وانثالت
العبارات مفعمة. بالأشواق، وبحرارة اللقاء.
قالت: انها لا تصدق عينيها. متى خرجت؟!
يا الهي، هل يعقل أن تتحقق أمنيتي
على الفور، وكنت توا
أحدث نفسي،
هل بوسع المعجزة ان تتحقق وتستجيب السماء
لدعوتي، فلأغمض عيني لحظة وافتحها،

فأراك أمامي.. وها أنت حاضر..

ان الأرض لاتحملني.. أكاد أحلق فرحا،

فأي دعاء هذا؟! وأي رجاء؟!

كم أنا محظوظة! يالسعادتي.

.. لا أدري من أين أبدا، هل أسالك

عن أحوالك وايامك ولياليك؟! أم أحدثك

عن عذاب البعد، وآلام الزمن الفائت؟!

دعنا نحيا الآن. ونعش اليوم.. ونحلم معا بالآتي.

قال: بلى. فلنعش اللحظة. الساعة. ونطل على أيام الغد. المستقبل.

.. مد يديه عانقت كفيها.. وانطلقا..

يجوسان الأزقة، ويقطعان الطرقات الخلفية

تكلما.. واطالا الحديث عن المعنى

الذي أحابه، وشعرا بأنه ينصرف الى دلالات

لم يعهداها من قبل:

فإن كليهما شعر بصاحبه قريبا منه، حاضرا معه.

لم يغب أي منهما عن الآخر، فثمة (اتساق)

وتوافق.. واحيانا تتزامن الافعال والأقوال.

وتتحد المشاعر في وحدة الاحساس، الى حد

التجانس،

.. دلالة أخرى، انهما اكتشفا بأن الذي يجعلهما قريبين، كل هذا القرب، لا يمكن أن يكون محض انفعال عاطفي، فلو كان كذلك، لما امتد تأثيره الى العقل بهذه الكيفية، التي تلجأ الى معايير القياس، والاستنتاج، ولاتكف عن الاستقراء.. وان العاطفة بهذا المعنى ليست تعبيرا جزئيا، أو محدودا أو أنها تنحصر بالمشاعر الحسية، وانما هي أحد أوجه الادراك الأرقى للعقل. فهما معا لايكفان لحظة واحدة عن (وعي)، (الغد)، بصفة خاصة تخطيط الآني صوب الآتي.

ثمة دلالة ثالثة، وهي القدرة على استيعاب المسؤولية الشخصية تجاه الذات، عبر ماتقضيه ضرورة الخطوة القائمة والتالية، وهي الانجاز الواقعي، النجاح والتفوق، والعزم على معاودة الدراسة، بحيث يصبح تعويض (الخسارة المؤقتة)،

فعلا ايجابيا وعمليا، تحت ظروف
الارتهان البالغة الضيق والشدة.

٥٧

استأذنته أن تنحدر من الزقاق الجانبي،
نحو دارها، بعد أن طال الوقت بها،
.. فاتفقا على موعدهما الصباحي المعهود..
.. عاد وهو يقبض على كلماتها بذاكرته.. فجأة شعر أن قلبه
ينصهر بين أضلاعه، كيف يقدم على مفاتحتها برحيله المفاجىء
خارج العاصمة، بعيدا عنها، يحمل كتبه وأوراقه الى القرية الوادعة،
في منأى عن صخب المدينة والعنف الذي يمور في شوارعها..
.. انها لحظة أخرى للعذاب الذي جرب آلامه في صباه، مُذْ
حملت العائلة متاعها، في تلك الليلة الشتائية
المطيرة، صوب كوكب الرصافة البعيد!.. ولم تدع للصبي
فرصة التقاط الموجودات التي أحبها معه، فانخلع قلبه
وفاض الدمع.. وشعر لحظتها بأنه فقد
جزءاً عزيزاً من وجوده، أودعه هناك في رحبات الدربونة،
وبين رفقته وأصحابه.. ولم يعد

بوسع قلبه تحمل مشاق الرحيل، الفراق.
الوداع .. لم يبق على مغادرته سوى ليلة واحدة.. الليلة الأخرى،
آثر أن يختزل المسافة،
واتخذ قراره أن يعرض عليها
خبر سفره وجها لوجه..

٥٨

الليلة الأخيرة..
شاغل نفسه،
حاول أن يفرّ من نفسه،
ويخرج على ترتيبات الواقع،
قطع تذكرة في سينما روكسي.. لم يطق المكوث
طويلا، غادر الصالة في منتصف الفيلم.
جاب شارع الرشيد.. وتوقف عند
واجهات معارض الألبسة.. وتفرج
بدون قلب على حسناوات اوروزدي باك!
عاد ليلا. وقبل أن يلج الدار،

تملكته رغبة الوقوف على ديارها..
توقف قبالة الزقاق.
تأمل نافذتها، وملأ عينيه بلوحة
الشناشيل الشاحبة اللون..
تضاعف توق اللحظة
علل نفسه..
من يدري قد تفتح النافذة..
أو تطل برأسها من الباب..
لكنّ حجرتها مطفأة الضوء
ترى أين هي الآن؟!
هل آوت الى النوم في مثل هذه
الساعة، التي تقترب عقاربها
من التاسعة مساء؟!

لم يعد ثمة الا الاسئلة..
.. الصمت. والأسى
.. التفت الى الوراء.. وقف هنيهة،
رأى نفسه ظلا ممدودا على الحوانط الضخام..
.. القى خطوته في الظلمة..

وبدا يتمتم:

"ــ لامعنى لأي شيء من حولنا،

ولامذاق للوجود كله..

بعد أن أختزل الحزن الدنيا، حوّلها

الى تجريد محض.. ففقدت هويتها"

.. صوت، همس، صراخ.. شكوى..

.. ايقاعات متباينة..

ها هو ذا لايدري ما يفعل! الى أيّ جهات الدنيا الأربع يمضي في هذا الليل؟!

.. الحرية التي ظفر بها طوقّته

.. انه خرج من الباب الوسيع..

ودخل نفقا أشد ضيقا من السجن،

وأكثر ايلاما من معاناته..

.

.

عاد الى الدار محبطا وكئيبا.

.. غدا يترك العاصمة، يتوجه الى القرية البعيدة.

.. تمدد على فراشه.. مشتتا،

حاول أن يلملم أجزاءه.

.. إجتذبته تقابلات
(الموت والحياة)..
توالت التأملات..
علينا أن نعيش قبل أن نموت!..
.. ولكن كيف؟!
خبرة المعاناة تصنع (العقل)
وتهذب (النفس)..
الا يجوز أن تتحول تجربة العذاب الى شيء آخر
.. من شأنه أن يفجر الجملة الغصبية، يحيلها
خرابا.. فيصاب العقل
باللوثة، أو يأتيه الجنون.. وعندها
تصبح الذات أجزاء متباعدة.. كل
جزء يمضي في اتجاه!

٥٩

شارع الرشيد. ١٩٥٩/٤/ ١١.٣٠ ق.ظ.
ثانوية المنصور للبنات.
.. اختار الفتى موعد الرحيل الساعة
الواحدة بعد الظهر.. المغادرة الى
القرية الوادعة..
.. وقف امام مدرستها في الحادية

عشرة والنصف قبل الظهر.. باق
على زمان السفر ساعة ونصف..
.. طرق الباب الموصد.. مرتين..
أطلت امرأة في العقد الخامس، تضع
(فوطة سوداء) تحت رأسها..
.. قرأ على وجهها، سؤالاً مستنكراً
لم تلبث أن ألقته:
من أنت؟!
وماذا تريد؟!
تملكه الخوف من وقْع السؤال المركب. وتردّد
قبل أن يضع الجواب المضطرب على شفتيه:
"اود اشعار إبنة خالي بشيء محدد"؟!
قالت: انتظر ريثما اخبر الادارة
.. استدارت الى الخلف، والتفتت
بغتة كما لو أنها نسيت شيئا، فأوصدت
الباب وراءها.
.. بدا الفتى حائراً.. يتحدث مع نفسه.
خشي على (الفتاة) من المساءلة..

أو ينكشف أمرها أمام المديرة..
بدأت الهواجس تأكل قلبه..
ماذا عساه أن يقول، أو يسوّغ مجيئه الى مدرستها،
اذا ما حاولت الادارة التحقق من
هويته .. او الوقوف على الغاية
من زيارته غير المعلَلة.
.. انفتح الباب العتيق بعد حين، وكأنه
الدهر.. انتصبت امرأة حسناء،
ذات وجه وردي اللون.. حميم القسمات..
وعينين سوداوين.. وبصوت عذب
قالت: اخبرني بالاسم والصف وماذا
تريد منها ؟!
فأجاب: الاسم (ا) والصف (٣)
وكرر الكلام نفسه .
فأغمضت المرأة الحسناء عينيها.. حسبها
الفتى ايماءة موافقة.
.. وعقب مرور عشر دقائق أو تزيد قليلا
بان الوجه والشعر والعينان.. والثوب
الأبيض، و(التنورة) الرمادية..

تضع وردة حمراء على صدرها!
تبدو مضطربة. القلق يملأ عينيها..
وانثالت الاسئلة والكلمات:
قالت ـ ماذا حدث؟!
ماالذي جعلك تأتيني الآن؟!
وتطرق باب مدرستي؟!
ماذا قلت لمعاونة المديرة؟!
كيف أدبر أمري واسوغ هذا الموقف؟
ـ انك تضعني في دائرة الحيرة؟!
توقفت عن القاء الأسئلة.. وبدت تبحث عن شيء آخر.. ربما أسئلة اخرى:
ـ وأجاب:
ليس ثمة من وقت
لعلي أختزل استيضاحاتك المتتالية.
.. أولا أعتذر لاني لم أجد وسيلة أخرى.
للحديث معك..
.. جئت لأودعك الآن.. لم يبق على
موعد سفري الى (القرية). سوى
أقل من ساعة زمن.

ورأيت أن ليس بوسعي أن
أُغادر بغداد، دون السلام عليك،
.. لانني سأغيب عن العاصمة
الى نهاية الموسم الدراسي،
اذ سأواصل دراستي
في القرية..
ـ اتكأت على جناح الباب الموارب.. وضعت
الكف اليمنى فوق (فمها) .. كأنها تحاول
كتم كلمة (لا)..
كادت تنفلت من بين شفتيها..
.. وانغمر الصوت بالشجن..
والدمع يطوف في العينين!
وانفلتت من بين الاسنان،
كلمة: (آه)..
هل يعقل أن تأتيني وتفاجئني في هذي اللحظة.
تنبئني الآن برحيلك؟!
هل جئت حقاً تودعني؟!
.. أي قرار هذا.. والى أين.. وكيف؟!

ومتى؟!

.. ساد الصمت الطرفين..

.. استعاد الفتى قراءاته عن لحظة الرحيل

ومكابدات الغياب والافتراق والنأي،

والوداع والنوى.. وشعر بأن قلبه

ينتزع من جذوره يودعه بين يديها،

.. وعاد صوتها متهدجا..

.. ماذا بوسعي أن أقول:

.. أوصيك بصحتك ودراستك؟

وان لاتقطع عني رسائلك،

وذيلها باسم رمزي..

.. واني كما عهدتني

طوال رحلتنا معا، أجدد الآن

ميثاقا اقطعه على نفسي، بأن

أبقى محافظة على العهد

الذي بيننا..

.. وسأنتظر عودتك..

.. "تزعت من صدرها الوردة

الحمراء

مدت يدها اليه.. قائلة:
أرجو أن تحتفظ بها.. لعلها
تذكرك في المكان البعيد، بأني
سأكون بقربك دائما..
تصافحا.. وافترقا.. وسمع الباب
العتيق يوصد مرة أخرى..

٦٠

القرية: الرسالة الأولى: نيسان ١٩٥٩

ـ لم يغب وجهك عني، فأنت معي دوما، ما ان افتح عيني في الصباح حتى تعانقني صورتك.. استعيد كلماتك لحظة الوداع.. فيتواصل حضورك يملأ علي الزمان والمكان.

ـ الحياة في القرية مفعمة بتفاصيل جمة، غاية في العذوبة.. تشرح الصدور كما يقولون، فأول شيء يلمسه الآتي هنا: التلقائية، والطيبة، والسخاء. وقدرا رائعا من المحبة.

ـ الفرات عذب ماؤه، ليس صحيحا ما حاولنا حشو أدمغتنا به

أن الماء عديم الطعم..
ان مذاقه الطيّب، يجعل كتاب الأحياء بحاجة الى
نقد ومراجعة الكثير من البديهيات المدرسية.
.. يأتون
بالماء من الفرات مباشرة يضعونه في (الحب)..
ونشربه من (الناقوط).. يبدو لونه رائقا،
بلوريا.. وطعمه (جلابا) (قراحا)..
.. لم تعرف القرية بعد: "الاسالة" أو أحواض الترشيح..
ولاتزال تستعين على الظلمة بـ(الفوانيس)، وبضوء النجوم..
ولم يجرب الناس طرق الاسفلت الناعمة حتى الآن..
ولكنها تدهشك بنظافة دروبها
وأزقتها، ونظام الحياة في ربوعها..
ـ القرية.. شبه جزيرة، يحيطها الفرات
من جهات ثلاث،
أما الجهة الرابعة فتمد طريقا
الى (البراري).. و(الصحارى)
.. صوب الجزيرة المنبسطة..
الا من هضاب متناثرة في أطراف
القرية ومقترباتها..

تصحو قبيل الفجر..
وتؤدي الجموع الصلاة في مساجدها
الأربعة التي تطل على المياه..
واذ أدت القرية أولى الفروض،
فأن الشبيبة والرجال يبدأون مع اول
خيط الشروق العمل..
.. يتوقفون عند الظهيرة للصلاة..
والغذاء.. ولا يؤوبون الا عند
انطفاء النهار.. يلجون المساجد..
حتى العشاء..
ويمضون أوائل الليل في المقاهي..
أو تجتذبهم حكايا الدواوين.

ـ النهر حياة ووجود وتكوين عقل منبسط. مفتوح،
.. فأنك لا تنزلين النهر الواحد مرتين،
فثمة مياه تجري من حولك أبدأ..
عبارة احتفظت بها أوراق الفلسفة
الأغريقية، برهانا على (الحركة)
و(التجدد).. واستمرارية الوجود..

ـ ظواهر عديدة تدل على (الحركة)
الصنع،
الخلق..
الايجاد..
ـ النبتة. بذرة في البدء. شجرة. ثمرة..
ـ الكائنات الحية قانونها الحركة..
على الأرض.. وفي الفضاء وفي الماء
الانسان،
الحيوان المستأنس..
الحشرات..
الطيور
الأسماك..
.. وقبل هذا وذاك وغيرهما،
عقل الانسان المولع بالابداع،
والتكوينات المبتكرة..
فالماء يستغرق الضوء..
والظل .. والألوان..
.. وتعالي انظري جماليات
البسط والزرابي.. تبهرك

الخطوط والمساحات والزوايا
بتشكيلاتها وتنوعاتها
.. وتنصرف الجماليات الى الطباع
والسلوك.. والمعاملات..
الصبر. الأناة. العقلانية،
تحمل الشدائد.. السماحة. العفو
عند المقدرة.. والمحبة المستديمة..
التكافل التعاون. الايثار.
والماء، النهر، الحركة،
يصنع البهجة سباحة وصيدا..
ونزهات على الشواطىء..
وعبر الزوارق.. وبين البساتين
والاستلقاء على الرمال عند الضفاف..
ـ والحركة .. (صوت).. خرير المياه..
وصخب الروجات..
وهمسات النسيم..
ودوران (النواعير)..
واشتداد الرياح..
القرية تصحو قبيل الفجر ولا تهجع الناس فيها

أو تأوى الى النوم الا بعد انقضاء المسامرات.
.. بعد انتصاف الليل.. لم يعرف أهلها جوعا ولا إملاقا
ولا أصاب أرضها جفاف.. أو جربت
ظمأ.. ففي كل دار حديقة أو بستان..
تتدلى على شبابيكها،
الثمار.. يظللها النخيل والتين والزيتون
فليس ثمة من ينام على الطوى..
.. فالقرية تمد بنيها بالخير العميم..
واذ شعر أحد بأن بيتا ما يعاني من
نقص في الأرزاق والثمرات.. فلا تمضي الليلة،
حتى تمتلىء الدار بالحبوب والطعام سرا
دون جلبة أو ضجيج،
يجري ذلك بصمت
.. الأتقياء
واذ يقترب العيد. فان الموسرين ذوي السعة يبادرون في ظلم الليل. وصمت الطرقات،
يلقون على اسطح المنازل
صررا معبأة بالحلوى والنقود..
.. ويهرولون.. خشية أن ينكشف

٦١

القرية: الرسالة الثانية:

العزيزة..

لا أعلم حتى الآن.. مصير رسالتي الأولى،
التي بعثتها اليك على عنوانك المدرسي؟
ألم أقل لك، ا نك تلازمينني..
.. فأراك في النهر وعلى الرمل
ترتقين معي الجبل..
واصطحبك الى البساتين..
تختبئين بين السطور..
وتمشين الى جواري خطوة اثر خطوة،
نجوس معا الأزقة والدروب..
أعيش وحيدا في بيت تتدلى شبابيكه
في حوض النهر.. وأكاد ألمس المياه بيدي،
.. وموسيقى الوجود العريق تنساب
نغماتها الشجية من (الناعور) الى
عقلي وقلبي نهارا وليلا.. انه يجاورني

وعلى مقربة حميمة لاتزيد عن عشرين ذراعا
عن نافذتي.. وما أدراك ما الناعور
وماذا يقول ويروي
.. ليس ثمة صباح في الدنيا يماثل جمال صباح القرية
.. الا اشراقات (دربونة) الطفولة الأولى في
كرخ بغداد.. وكم أتمنى أن تشاركيني هذه
المسّرة.. ولكن ليس كل مايتمناه الانسان
يدركه..
ثمة هنا (المسطاح)، وهو الطريق الرئيس الذي يمتد
على ذراع القرية
بين النهر والجبل.. نقطعه مشيا ذهابا وايابا،
.. ثمة أيضا سوق متواضعة، تحتشد عند
الضحى بالقرويين والبدو يتزودون منها بالشاي
والسكر والرز والأقمشة، والحلويات الرخيصة..
نصعد هضبة القرية صباح كل يوم في طريقنا
الى حوض الجبل، حيث تقع المدرسة،
وعند الظهر ننحدر الى البيت أو المقهى..
.. الحياة هنا، كما حدثتك في رسالتي الأولى
رخيّة، بسيطة..

لم أجد أيما صعوبة في الاندماج في رحابها
والانسجام داخل المجتمع.. والتكيف مع المحيط،
.. وقد منحني الناس هنا منذ وصولي،
دفء الصحبة، وكرم الوفادة.. والاحترام..
.. ولعلي أعود اليك في حديث أخر عن القرية
الوادعة. والسلام.

٦٢

القرية ـ الرسالة الثالثة:

العزيزة..

أفتقدك كثيرا..

.. مررت يوم أمس الجمعة بتجربة طريفة،
فقد امتطيت (حمارا) بحجم الحصان،
ما ان وخزته بطرف العصا، حتى
قفز يجري، ينهب الأرض.. حاولت
شد اللجام لا يقافه او السيطرة عليه، بعد أن
اشتدت سرعته.. ولا أدري كيف
أخفف من ركضه.. الى أن

أسقطني من على ظهره بعد ان اختلّ
توازني،
وعندما نهضت حسبت انني والحمد لله لم أُصب
بسوء.. وبعد حين اكتشفت بأن
(الجحش) قد ألحق بي أذىً كبيراً جراء
القائي أرضاً،
ـ تسلخات في يديَ..
ـ كدمات على وجهي..
ـ رضّ في قدمي اليسرى..
ـ ثقوب لا حصر لها في (الدشداشة).
.. أستذكر (خبرة سابقة). يوم كنا أطفالاً
نمتطي صهوة جياد كسولة لا تكاد تنقل قوائمها
عن الأرض الا بخطوات بطيئة متباعدة.. وكان
امتطاء الخيول.. واحدة من أمنياتنا،
التي لا تتحقق الا في الأعياد ـ
في منطقة الشيخ معروف.
الحادثة وقعت خلال عودتنا من سفرة (ترويحية)
الى اطراف القرية، الى عين ماء تسمى (سجل النمير)
حيث يزدهر العشب هناك، وتنهض اشجار

السيْسبان باسقة على الدوام.

٦٣

القرية ـ الرسالة الرابعة:

العزيزة .. تحية الصباح الجميل

الربيع هنا له مذاق خاص، فالقرية أيام الجمع.

تنتشر في البراري والسهول.. يلوذ أهلها بأفياء

الوديان.. ويستظلون بالصفصاف.. ويحتشدون

عند عيون الماء..

.. من بين جماليات الصحارى.. (الأزهار) الأخاذة

الواناً وعبقاً.. تشكلّ لوحات غاية في الروعة والاتقان

فثمة مربع من الورد عند السفح هنا لونه مفارق

لأزهار الهضبة هناك.. ورد بلون الليمون

وآخر مثل الخدّ.. وبلون التفاح (العجمي) ناعماً كالحرير

والأحمر يتدرج.. الوردي الفاقع، الوردي المبهر..

والأحمر القاني،.. وتجيء سلسلة من البنفسجيات..

.. وثمة نباتات ذات عطور يفوق أريجها الياسمين..

.. والقداح.. لعلها آتية من الجنة.

الطبيعة ساحرة.. بهيجة..

.. والبريّة.. كالحرية.. تطوف في رحابها
العين.. والعقل.. مفتوحة الجوانب والنهايات..
هنا، تتحدّ الأرض والسماء تؤلفان
وحدة كونية مهيبة..
.. وليس بوسعَ الانسان الاَ أن يتأمل ظله..
الذي يتلاشى شيئاً فشيئاً ليذوب شعاعاً
شعاعا.. في دائرة الكون الفسيح..
.. أينما دار البصر، يتلفت القلب،
يهتف للعشب. والضوء.
والنسيم.
.. وعند حافات البريّة.. ترقصّ الغزلان.. تثب غبطة،
بين ألعشب والسهوب. وعند عيون الماء.. طيور
من كل لونّ بهيج.. تتهادى،
دون خوفٍ بين الجموع..

٦٤

الرسالة الخامسة

.. استعدتُ منذ الأيام الأولى
ولع القراءة، والانكباب على الأوراق
الصفر العتيقة، والبحث عما هو جديد،
بين حلقات هواة جمع الكتب والمثقفين.
أتيت على (مكتبة) الخياط حوري،
أغلب موجوداتها،
ذات طابع تراثي.. تدور موضوعاتها
حول العلوم الدينية. (الفقه والتفسير
وتأريخ الاسلام)..
ووجدت لدى (صالح العلي) سلسلة من مجلة
(المسلمون)، تصدر في ــ جنيف ــ اطلعت
على أعدادها، وهي تعنى بفكر (الإخوان
المسلمين).
واستعنت بزميلي (مالك) الذي
أعارني مجموعة من روايات الهلال
النفيسة.. وكذلك بعض المجلات الأدبية..
.. ووقفت في القرية على عدد غير قليل

من المؤلفات القديمة التي تتناول
"الروحانيات" والأسرار
والسحر،
فقرأت (تذكرة داود) للانطاكي..
وكتاب "شمس المعارف الكبرى"
وطالعت عدداً من الأصدارات
الروحانية بعضها
حول (الروح واسرارها) والآخر
يبحث في (الجن) و(السحر)
وتواصلت قراءتي لـ(كولن ولسن)، واتيحت لي
فرصة الاطلاع على "الوجودية"، وهو عنوان
كتاب لـ(جان بول سارتر)، آتٍ من الشام.
.. وبين يدي الآن (شرح المعلقات) ترهقني
نصوصها المركبة، تتطلب قراءتها قدراً كبيراً
من الصبر والمراجعة، ليس لاستيعاب النص..
واستظهار القصائد فقط، وانما لضبط النطق والعناية بسلامة الحركات..
أقرب الشعراء الى قلبي الشريف الرضي الذي كثيراً
ما أشجاني وأبكاني..
واقربهم الى عقلي (المتنبي والمعريّ)..

.. ويطربني ويسليني (أبو نؤاس) .. الذي يبدو
أحياناً وكأنه (اللامنتمي) الذي تحدث عنه
(كولن ولسن).

أما الشعر الحديث فقد حملت دواوينه معي ضمن
أمتعة السفر الى القرية.. فالبياتي والسياب ونزار قباني،
الى جواري..

إن معركة (الشعر الحرّ) تدور بين أنصاره ومناهضيه
في المقاهي بين المثقفين.. في مشهد واضح بين
(الماضي والغد)

وبالقدر الذي أحببت لوحات الجواهري، واقتربت من
من الرصافي وقدرته الفائقة في
تصميم مشاهده الشعرية، ووصفه الدقيق لزواياها
وتفاصيلها.. فإني أحسست بأن الزهاوي بعيد
عن وجداني.. بسبب جفاف نصّه وعنايته الكبرى
بـ(الشكل)، دون المضمون،
والفرق بينه وبين الشعراء الآخرين، هو
الفرق بين الميكانيكا والكيمياء.

ولتنعمي بالسلام.

الرسالة السادسة: بداية ايار ١٩٥٩

أما السياسة في القرية فهي أدب ولياقة وثقافة وتوقير للأفكار
فقد ينقضي الليل بطوله وظلاله، و(الحوار) متصل
لا يتوقف أو ينتهي عند نقطة محددة
أو نتيجة ما، .. ليستأنف في اليوم التالي،
مناظرات الأفكار مستمرة في المدرسة،
والمقهى، واثناء النزهات بين البساتين،
.. واشهد أن آداب الحديث.
ولياقته، وقبول الرأي الآخر، وسعة
الصدر، وحسن الأصغاء، تقاليد
تنفرد بها القرية، وتتفوق بها على
العاصمة التي غالباً ما تحتدم المناقشات فتنقلب
الى مناكفة.. يليها ضجيج وصراخ.. يعقبها
اشتباك بالأيدي..
عندها تصبح (الأفكار) محض تجريدات لفظية لا معنى
لها.. وتحلّ الخصومة الشخصية، محل الخلاف الموضوعي
فتتخلى الاطراف عن القضية لتغرق في الهوامش الذاتية

وينتهي الأمر الى موقف تختلط فيه الكوميديا،
بالمأساة.. وكأن المناظرة بين الآراء لايعنيها
معرفة الحقيقة أو الوصول الى جوهرها..
النتيجة التي يسعى اليها الطرفان، ليست أقلّ
من قتال مصيري هو أن يصرع كل منهما الآخر
ويتغلب عليه، بالصوت العالي، أو بتسديد
قبضة قاضية من ذراع طويلة

.. الأهم من هذا الاسلوب الغليظ الذي دأب عليه بعض
مثقفي المدن، هو أن أياً من قادة المنابر السياسية،
لا يلتقط نفسه، ليهدأ قليلا.. ويجري تقويم أو نقد
أسلوبه، أو يراجع أخطاءه.. لأنه لو فعل ذلك
لأدرك، بأن (الضجيج)، فعل مفارق للعقل، وأن (القبضة)
لايمكن أن تحلَ بديلاً عن (الكلمة)، وان (الحجة) لابد أن
تقابلها حجة، وان البرهان ينبغي أن يواجه ببرهان، وليس
بـ(عصا) أو (مكوار)

.. أستذكر وأنا أصغي الى (حوارات القرية) وهي
تنتهج اسلوباً راقيا. فتضع (خلافياتها) في اطار منظم،
من التكافؤ. والسماحة. والاحترام.
يبدأ وينتهي بـ(الاصول) ــ المبادىء ــ

ويعزف عن الخوض في (الفروع) ـــ المسائل ـــ (التفاصيل)
.. واذا صادف ان ظهر لفظ نابٍ، او ارتفع
صوت عن ايقاعه المعتاد، فان الطرف الآخر
يكفَ عن الحوار.. الى أن يعاود الطرف
الأول هدوءه.. ليعتذر أو يخفض نبرته
فيقف المتناظرون كافة على خط متكافىء،
ولكل منهم حق متماثل..
وان النتائج لاتقاس أو يجري تقويمها بعدد نقاط
الوهن أو مصادر القوة،
في هذا الفكر أو ذاك، فمثل هذا الأمر يترك
للمتلقين.. اذ تظل (الرصانة الموضوعية) وحسن الاصغاء
وايراد الحجج، والسيطرة على انفعالات النفس،
والمحافظة على تماسك المحاور وهدوئه..
ورصانة لغته، هي المقياس الأول في (الحوار) بغض
النظر عن الجزئيات الأخرى.
الوطن لاشيء قبله أو بعده أو سواه الذي يجب أن تكون له المنزلة
الأولى. وان أي حوار ينبغي أن يتجه اليه.. الى ازهاره
وتقدمه وان يحيا الانسان في ربوعه حرا، سعيدا..
آمنا على يومه وغده.

٦٦

الرسالة السابعة:

.. إن المعركة الكبرى للوطن هي صنع الحياة الرغيدة وازدهار الانسان في ظل الحرية والقانون.. وان الوطنية الحقة في التطبيقات العملية.

هي أن تضاء هذه القرية وقرى العراق الأخرى

من جنوبه الى شماله.. وان تمتد الى بيوت الفقراء وأهل

الريف خطوط الماء.. وان تتسع الأرض لمستشفى، مسرح، ملعب

ومدرسة بنات ثانوية.. وان لا تنفرد المدن والحواضر بالخدمات

والتسهيلات.. من الطرق المعبدة والمواصلات..

فلاتزال قريتنا شأن غيرها من قرى العراق تفتقر

الى الضروريات مما يصعب الحديث عن شيء آخر.

٦٧

الرسالة الثامنة:

.. لم يبق على بدء امتحانات نهاية السنة الدراسية الا أياماً معدودات،

وقد تخلّيت عن قراءاتي الخارجية الى حين، وتفرغت تماماً

لاستذكار ومراجعة المواد المدرسية.

ولم تواجهني حتى الآن أيما معضلة جدية في أي من الدروس
باستثناء الرياضيات التي فاتني بعض مسائلها،
أحاول ايلاءها اهتماماً اضافياً..
قد انشغلِ عن مراسلتك مؤقتاً،
ريثما أتم الامتحان.

٦٨

الرسالة التاسعة: ١٥ ايار ١٩٥٩
أعود اليكِ مرة أخرى، قبل نصف ساعة
فقط، عُدت من المدرسة، بعد أن أديت امتحان
اليوم الأخير، أشعر انِي تحررت الآن تماماً،
اعتباراً من هذه اللحظة
أحاول العودة الى اهتماماتي الثقافية،
وامارس هواية السباحة.. واستمتع بالنزهات
بين البساتين..
أحدثك عن جملة المتغيرات التي أحدثتها في
حياتي هنا، من بينها (التدخين) الذي
أدمنت عليه مذ أيام (المعتقل)، ولم يعد

بوسعي الاستغناء عن (السيجارة)، كما لم يعد بالامكان اخفاء (عادة شائعة) بين يدى طوال الوقت، فقررت مفاتحة أبي بالأمر، كتبت رسالة اعترف اليه، بأني اصبحت (مدْخنا) .. ورجوته أن يغفر لي اعلاني وصراحتي.

وفوجئت به بعد مرور اسبوع تقريباً، يرسل اليّ مبلغاً من المال لتغطية مصاريف الجيب.

.. ولعل المتغير الثاني، اني تحولت من كتابة التأملات والخواطر واليوميات، الى مغامرة الشعر. ثمة تجارب على شكل مقطعات متباعدة وأبيات قصيرة.. لكنها في كل الأحوال، ليست الا ارهاصات لم تستو بعدْ أوْ تأخذ مداها وزناً وايقاعاً..

لعلها واحدة من قسمات تجربتي الرائعة في القرية. أتصدقين أني اعتليت منبر الجامع بين حشد من الناس امتلأت بهم رحبات المصلى.. القيت (كلمة) على مدى عشر دقائق لمناسبة (المولد النبوي)، الذي يعدّ الاحتفال بمولده السعيد من التقاليد المتبعة في القرية سنوياً.

واذكر تماماً بأني أعددت الكلمة بناء على تكليف

من لجنة الاحتفال.. واذكر بأني عرضت مسودتها
على رجل ضليع بالعربية، وجلسنا معاً
في المقهى، قرأها اكثر من مرة وابدى ملاحظاته،
.. وقام بمهمة تشكيل الكلمات، لضمان حسن
القائها.
انها المرة الأولى في حياتي التي أرتقي فيها منبراً، أو أقوم
خطيباً بين الناس.. ولم يكن الأمر هيّناً عليّ
في البداية، وأنا اتصبب عرقاً.. وقد حاولت
أن أبدو متماسكاً، وأنا أعالج اضطرابي وارتعاش
مفاصلي.. وعقب مرور دقيقتين او اكثر على
بدايتي وفي ظل الصمت والاصغاء، شعرت
بمسؤلية كبيرة، وبأني أودي امتحاناً حاسماً، فيتعّين
أن لاتكون كلمتي أقل مستوى من هذا الاهتمام
الذي يحيط بي، فعليّ أن لاأخذلهم، ولعلي
ظفرت بفرصة الأداء المقبول في أولى تجارب مواجهة
مثل هذا الحشد الكبير من الجمهور، ولم أتخط بعد الثامنة
عشرة من عمري..
.. وسأعود اليك غداً.
ولتنعمي بالسلام.

الرسالة العاشرة:

.. البريّة فيها من الطهر والبراءة والاتساع،
ما يجعل الانسان بعيداً عن (ذاتيته)
ينسلخ عنها.. يتحد بالكوْن..
فيعود الى (الطبيعة) كما لو أنه ابن لها أو جزء منها.
.. وكأنه يدرك الوجود أول مرة..
مثلما يدرك أن ــ الحرية ــ ولدت أول مرة
في (الصحارى) وعرفها البدوي
قبل أن تشعر بها المدينة..
ولذلك قيل أن ابن البادية، لايحسن
(التصنع)، ولا يميل الى الدوران حول الكلمات،
فهو يمتلك خصائص (البرية)، الطهر،
التلقائية، والاتساع، والحرية،
فينفذ ببصيرته الى ماوراء الأفكار والكلمات،
قد تعجبين بــ(ورد الصحارى)، وبأزهار البريّة،
وبتلك الاعشاب الباذخة الألوان،

تنمو .. تزدهر في هذه الأرض،
دونما مطر يأتيها.. أو ماء
هنا، يتحرر الانسان من الزحام والضجيج،
يسمو بروحه متعاليا على الأشياء الصغيرة،
تاخذني الغبطة اللامتناهية لحرية الكائنات
في هذه الفيافي..
الورد..
الطير..
الغزلان..
الفراشات..
الوردة تختار لونها.. ورائحتها..
الطير يفرد جناحيه محلقا في السموات..
أو يحط على حجر..
أو يأوى الى فيء زهرة.
وتجوب الغزلان آفاق الصحراء آمنة..
.. تمرح.. تداعبها الريح
وفراشات الجنة
هنا في الأرض العذراء..
يزدهر الحب، ويسود السلم الصحراء..

.. وقبيل المغرب
يلتئم الفتية.. ينسربون صوب القرية،
وأعود على راحلتي يصحبني،
الليل.
وإذ نتناول العشاء على عجل،
فلأن المقهى. وضفة النهر، والناعور
أزمان أخرى للبهجة، والمتعة،
حيث تدور الدنيا في قصص الليل.
وحكايات الديوان.
.. وعند العودة.. في آخرة الليل،
أوقد فانوس الدار..
لأعيد قراءة أيام طه حسين.

٧٠

الرسالة الحادية عشرة حزيران ١٩٥٩
.. أدرك الآن فقط، بأن رسالتيَ الأخيرتين،
لازالتا مودعتين لدى حارس المدرسة بعد
انقضاء امتحانك.. لعلك لم تقطعي

خطوتك عن المدرسة، والا فمن العبث،
أن اكتب لك الآن، واعلمك بأني،
اجتزت الامتحانات بنجاح، وان
كانت الدرجات متواضعة نسبياً قياساً
بالسنوات الفائتة.
.. لم يعد ثمة من سبيل آخر أمامي الاّ
أن أغامر وأحدد منذ الآن موعداً،
للقاء مطلع الأسبوع القادم وفي ذات
المكان والوقت اللذين إعتدنا عليهما.
وحتى نلتقي. لك كل هذا السلام
المفعم بالتوق الجميل.

٧١

تعانق المكان والزمان .. صارا جزيئة متناهية
الصغر.. حتى ذابا انتظاراً.. يمرّ الوقت. عصيَ
الحركة. جافاً. بطيئاً،
.. لم يبق على الموعد الاّ دقيقات خمس..
. كل واحدة منها بمقدار ألف سنة

توقف نبض الثواني..
لم تعد تتزحزح.. اختبأت وراء
فؤاده.
تتابعت خطواته الواهنة في المربع الصغير جيئة وذهابا.
.. وعند انتهاء المسافة، غابت عنه الجهات الأربع.
واصبح المكان والزمان نقطة عائمة على سطح الدهر.
.. اقتلعته من (انيته)، فأخذ يدور حول نفسه،
يتنقل كالدرويش من حال الى حال
ثمة فجأة. لسعت ذاكرته الجمرة..
فأفاق من دائرة الغيبة..
أبصر من حوله فرأى
شمسا أخرى
تسقط قمرا أزرق فيروزي القسمات..

وتزخ الأرض مطر الزيتون
.. اجتذبه حالٌ آخر..
.. فنأى.. خلف الزمن..
.. ثمة ذاب.

٧٢

.. لم تأت الموعد.

٧٣

تورق الخيبة كآبة غليظة.

تورث الانقطاع عن الحياة. بالصمت.

يليها (العزل)..

اقصاء الذات.

الوحدة.

٧٤

تستغرقه التأملات الباردة،

ليس ثمة ما يرى

الا أشكالا هندسية فارغة.. يحدق

بمستطيل اللوحة..

يتوقف عند الجدران المربعة..

ويمد بصره صوب الباب الموصد..

تدور عيناه بين أرض

الحجرة، وزواياها..

ثمة تنزرع نظرته بسكون
عميق في السقف..
تتوالى عليه الأوقات،
.. وهو بين الخيبة والجنون.

٧٥

.. أعاد قراءة يومياته..
وقلب أوراق رسائلها..
.. أمسك القلم، .. أدرك عقب عشرين محاولة.
بأن المغالبة لا تجدي،
الكلمة لاتخرج من رأس القلب.
.. عبثا حاول..
مرات.. مرات..

٧٦

.. حمل نفسه للمرة الخامسة الى دارها
فوجدها، كما في المرات الأربع موصدة
الى م ينتظر؟

أيغامر!

فيدق على أهل الدار الباب!
.. وماذا بوسعه أن يقول،
اذا ما انفتح الباب الموصد،
وأطل أحد سواها؟

أي المسوغات يمكن أن يتقبلها
الطرف الآخر غير الريبة والشك؟

عندها، ليس من الصعب تصور
طبيعة الخسارات المحتملة
التي يمكن أن يحدثها، مثل هذا التصرف العجول.
لهما معا.

٧٧

بدأ مرحلة أخرى. مشاغلة الوقت. ايـاءة جوانية
للهرب من واقع جاف، ثقيل الوطأة
.. فآثر المتع القصيرة
والصغيرة

في آن معا
.. أحس بعذاب (الاختزال)،
وآلام (التعويض).
فالخمرة التي يعاقرها أول مرة..
وسوق الغواني الرخيص،
.. يوقظ عقله عند الانطفاء،
فيشعر بـــ(الغثيان)..
ازاء الانتهاكات اللاسوية،
حيث يقود نفسه اليها
عند أبواب الليل.

توخز عقله الاسئلة
الى م تتواصل عملية تنويم المدركات؟!
.. وماذا بعد؟!
والى أين ؟!..
.. المتعة العابرة التي تلتقطها الغريزة،
تتحول اثر انتهاء ــ الميكانيكا ــ
الساذجة الى عذاب مستطير..

فاقد لكل الاعتبارات التي يؤمن بها.
الحرية،
الانسانية.
المحبة.

التناقض المريع..
وهو يقود مبادئه الى غربة موحشة
فيجعل أفكاره تنقلب على رأسها
أين حرية الاختيار في انتهاك آدمية الانسان؟!
على النحو الذي يجعل منه مجرد سلعة، جرى
تحديد ثمنها سلفا؟!
هل يعقل أن يستبدل ميثاق المحبة بين الرجل
والمرأة الى محض كم فيزيائي. يعقبه قنوط ذميم؟!
.. تلفت الى أوراقه المتناثرة.. ورفوف
الكتب المتراصة.. وبكى بعد أن أحس
بأنه يكاد يتآكل خجلا من نفسه.
..واستذكر (الحوار)، الذي جرى في
الحجرة الضيقة ذات الفراش الرث،
والتي عاهد نفسه الا

يطأ تلك البقعة مرة أخرى:

ما الذي دفعك الى ولوج هذا العالم
القبيح.. وانت بمثل هذه الوداعة،
ألم تجدي
عملا لائقا تستبدلين به
عذابك..؟!

ــ أو تظن أن الغواني اخترن بارادتهن
مثل هذه الحرفة المبتذلة؟! ألم نكن
بشرا أسوياء؟! لنا حياتنا مثلكم..
وسط دفء الأسرة.. نعيش ونحلم.
..ان أغلب اللاتي التقيت بهن،
خلال السنوات الثلاث التي أمضيتها
في الحفرة العفنة، لم تقرر أي واحدة
منهن مصيرها الذي آلت اليه.

ويشق علي أن اعيد عليك تجربتي البائسة.
.. وهي واحدة من الوف التجارب التي يمكن أن
تسمعها من الأخريات.. أتعلم مذاق العذاب
اليومي الذي يستمر مع الانسان ولا يتوقف
الا بالموت..

بعد أن تمتلىء النفس بالحرمان والجدب،
والفجيعة..
أتدرك معنى معالجة الخطيئة بخطيئة مركبة.
.. حتى تلتف حول أعناقنا الخطايا،.. فتطوقنا
بالذل والمهانة والعبودية حتى آخر أعمارنا؟!

٧٨

ـ مطعم ومشروبات دجلة*. الصالحية. الظهيرة.
السأم..
تلك الكلمة التي التقطها من قاع عقله!
الكائنات الجميلة أمامه ومن حوله.. تفقد
علاقات القرابة، الصداقة. الانتماء، الجوار..
انه متعب النفس والجسد.
منهك القوى.
يوشك أن ينطفىء.. أو يزول.
تضج جمجمته بالاصداء الباردة، الآتية من ظلام الجحيم

* يقع في ساحة جمال عبد الناصر ـ الصالحية.

.. لم تعد الأشياء في رأسه تفصح عن معنى..
.. يقبع عقب ظهيرات حزيران، في زاوية
قائمة. يحتسي (المستكي)، الذي يورثه الغثيان،
مرغماً نفسه على اجتراعه،
.. على الرغم من كرهه الشديد للخمر، رائحة ومذاقا.
.. مطعم ومشروبات دجلة..

٧٩

ـ مطعم ومشروبات دجلة مرة أخرى
الآتون الى (دجلة) هاربون من الحياة،
لائذون بـــ(الجحيم)
يتناثرون على الموائد.. يستسلمون لحركة
اليدّ.. ميكانيكا ـ العادة. الأدمان.
.. تحسبهم أصناما قدت من أحزان
الدنيا.
القيظ يذيب الاكباد عند الثالثة ظهرا..
تثقل حرارته الجماجم..
النادل يغفو، يتثاءب

ينتظر الآتين..
.. ويخفَ فجأة.. صوب زبون
يهتف، يصرخ.. يبكي،
يتعذب.
وبصوت مقطوع الأوتار، مسترخ
من فرطَ الزحلاوي:
"ايشو ــ عيشو
"الحقني بربع عوازة"؟
ينسلَ ترنيم من زاوية البار..
.. شجن الأرض..
واحزان العالم..
الصوت يتردد بين مقامات الركباني والمحمودي
والسيكاه؟!
يمضي الترنيم شجيا،
منغمرا بالهجر، والبعد والايلام..
أسمعه ينتشج.. يبكي..
.. ثمة يصمت!

ينبثق صوت آخر في الخمسين.

يلقي أسئلة كبرى..
من منكم يعلم فائدة
الخمر في قيض الحرّ،
.. أو يدرك الفرقَ بين الكرّ والفرّ،
.. تلك أسرار الفكرّ!
.. لا يدري أحدٌ منا الآن..
من يقضي قبل الآخر..
ولماذا يُولَد في هذي الدنيا الانسان!
.. ولماذا يرحل عنها، دون خيار
وأنا ياإخوان:
منذ زمنٍ أتمنى الموت لكني لم أدركه حتى الآن!
أو تدرون ما يعنيه الموت؟!
.. انه "قانون السلَم الأوحد ــ
يضع حداً للحرب الدائرة بين العقل والقلب
.. فليتذكر كلٌ منا، أوجاعَ الدنيا،
وعقمَ العيش..
عشرات المرات.. يموت الانسان..
ثمة ينهض.. ويموت.. ويموت..
ثمة يحيا..

يتأوه ايشو.. يتثاءب..
يستذكر في داخلهِ عصر القيلولة..
يوم كان صبياً..
(ايشو.. بيك عوازه..
.. (ايشو: ماعون لبلبي..
.. (الرجل الهرم الذي ألقى نصف (كونية)
الى جواره.. يتجشأ..
ايشو "ربع مستكي"..
لا تنسَ الباجلة!
يتلفت ببطء.. يتفحص الموائد..
.. ينتظر شيئاً ما:
ـ الله بالخير..
ـ الله بالخير..

٨٠

في طريقي الى دارنا..
وعلى بعد خطوات من الزقاق
الضيق، سمعت صوتاً خافتاً،
يشي بأسمي "التفت" ورائي،

فوجدت (وفية) صديقة (أمل)..
.. مدت يدها بمظروف صغير.
.. وما ان التقطته منها
حتى سارعت بخطواتها..
تحاول الابتعاد، خشية أن
يلمحها أحد من الناس!
"العزيز..
.. أعلمُ أنك نزلت العاصمة.
.. اثر انتهاء الامتحانات توفيت
والدتي، انتقلنا الى بيت آخر.
في حيّ (...).
ارسل هذه الوريقة على عجل
صحبة زميلتي.
غداً موعدنا في الزمان والمكان
المعهودين.
حتى نلتقي. لك السلام.

٨١

قرأ ألفتى الوريقة مرات ومرات.. فهي أولى كلماتها إليه،
بعد انقطاع دام أربعة شهور..
ثمة متغيرات مفاجئة..
الموت. والرحيل..
والسلام.
تتوالى الاسئلة وتضج علامات الاستفهام،
وليس الاَ الوريقة يُقلّبها بين يديه..
يعيد تلاوتها.. يبحث ما وراء كلماتها،
وما يختبىء وراء سطورها من توقٍ
وأشواق.. رغم أنها لم تفصح عما في
قلبها..
.. لعلّ حزن الفقدان ورحيل أمها
على النحو المفاجىء، جعلها تختزل
الرسالة..
استغرقته التأملات،..

واسهدته الاسئلة:
ترى بأي كيفية سيلتقي بها،
ما الذي تركته الأيام المائة والعشرون
من مشاعر وانطباعات على عقل امل
وفؤادها..
.. وماذا بشأن رسائله الاحدى
عشرة.. هل تسلمت كل
كلماته.. مشاعره..
أشواقه؟!

٨٢

تناثرت خطاه في الأزقة..
بعد أن غابت عن ذاكرته اتجاهات الأرض.
ضمَّ وجهها الى قلبه، ومضى يبحث
عن نفسه الغارقة في اللاقرار..
اتكأ على الأريكة المتداعية
في مقهى.. حاول أن
يشاغل نفسه، فتلتقط عينه.
صورة المكان..

تمتلىء بالألوان والحركة والوجوه..
.. النادل يجيء بسرعة حاملاً
صينية الشاي يلف وسطه
بقماشة جافة تحتشد
بالبقع والمربعات الزرق..
سمعتُ شخيراً متقطع النبضات،
التفت ورائي رأيت جثة
هائلة الحجم تتكوم على نفسها،
هدها التعب. او الهموم.. أو الكسل.
.. رجل في الخمسين يقرقر بـ(النرجيلة)..
بطريقة مهنية متقنة،
يمدّ يده الى فنجان النار،
يعبث بـ(الجمر)، ويزيل الرماد..
لايكف عن القرقرة.. يتلفت
بين الحين والآخر جهة باب المقهى،
وكأنه ينتظر أحداً..
الساعة عند الحادية عشرة قبل الظهر..

أمامي أربع ساعات طوال..

.. شابان متقابلان على كراسيّ من خشب

الخيزران، يلعبان (النرد). بينهما فتى،

لم يتوقف عن إسداء النصح لصاحبيه

.. تنبعث من (المذياع).. أغانٍ متتابعة

مبعثرة، تختلط الأصوات.. فتضيع

الكلمات.. تفقد معانيها..

في زاوية المقهى، تنبسط الجريدة..

.. وكأنها لافتة..

.. لم أحتس الشاي: زجاجة حبر اسود،

طلبت (استكان حامضّ)..

السلام عليكم..

ـ وعليكم السلام..

رددت التحية.. يحمل (كونية)

وضعها جانباً.. جلس قبالتي..

الله بالخير..

الله بالخير (أغاتي).. الحرّ لايطاق في الخارج،

والسوق يزدحم في هذه الأوقات..
تكلم الرجل كثيراً وتحدث بأسراف شديد عن الدنيا
وهموم العائلة.. ومشاق التربية.. وضياع العمر..
واختلاف الأجيال، وتباين القيمَ
.. يسكن بعقوبة، وقد نزل العاصمة بأحدى
عربات (الخضروات)، حاملاً لولده متاعاً،
مضى على غيبته اسبوعان لم يره.. يدرس
في كلية الزراعة.. والطريق اليها ليس ميسراً
في كل وقت، اضطر أن يأخذ عدداً من
الحافلات.. وما ان وصل الى الكلية حتى
أخبروه، بأن ولده في القسم الداخلي..
.. فعاد حزيناً يحمل متاع ولده.. يسألني ويسأل نفسه.
لا أدري هل أمضي الليلة في (المسافرخانة)
أم أعود الى بعقوبة.. لقد جئت بغداد
عند الفجر. واشعر بالارهاق.. احتاج أن
أريح جسدي المتعب!..
فجأة سقط رأسه على كتفه.

استغرقه النوم..
وبدأ شخيره..
غادر المقهى
.. دلف الى الزقاق الجانبي
مرَ على أيامه
الأولى..
انه يكاد يشمّ عبق اللحظات السعيدة،
لايزال يشعر بطراوتها وعذوبة كلماتها،
عندما سمع صوتها يهمس بأسمه أول مرة..
.. هنا عند هذه الناصية.. قبل أن
تلتقط من يده ـــ الرسالة الأُولى..
.. أحس أن قلبه يكاد يقفز من صدره،
طائراً مغرداً بالبهجة، منغمراً بغبطة
روحية ساحرة.. جعلته والكون شيئاً
واحداً..
.. مابرحت النوافذ والأبواب والسواقي.. والاحلام
والجدران المتآكلة.. وشمس الظهيرة.. تطلّ

أو تتوق لتلك اللحظة..
لم اكن وحدي في ذلك الزقاق.
كان معي كتاب (آلام فرتر)

٨٣

اختارا (الأريكة الخضراء) تحت ظل سدرة باسقة،
تجاورا.. اقتربا.. وبعد أن تبادلا السلام. اتكأ
الكتف على الكتف.. مضى حين من الوقت
لم ينبس أيّ منهما بكلمة..
آثرا الصمت.. الاسترخاء.. التأمل..
وكأنهما في غيبوبة الرضى..
انقطعا عن الدنيا..
وكأنهما ملكا العالم..
الخدر ينسل الى عروقهما نبضاً لذيذاً دافئاً،
يسري الى الجذور.. يدور في رحبات القلب..
ثمة يمور، يندفع، يرتقي الذاكرة

والجملة العصبية.. ومرة يهبط

خافقاً الى الأطراف.. فيوقد

النار في اليدين.. ونهايات الأصابع..

ــ .. من أَين نبدأ؟!

ــ أيقظته العبارة من (غيبوبته)! فصحا، وانبته فجأة!

ــ لا أعلم من أين؟!

ــ لكني أعلم من أيّ الأزمان أبدأ..

أو تعلم أن رحيلك عذبني أوقد نار الاشواق..

هزّ كياني..

لاشيء يعوّضني عنك.. أو يمنح قلبي عزاء الغيبة

ــ ثمة جاء الفقدان الأعظم.. يوم اختطف الموت أمي،

.. أَمضينا أياماً وليالي.

في الحزنِ والوحدة والغربة..

.. كنت بعيداً..

وكنتُ غريبة..

وكأني وحدي في هذي الدنيا،

حاولت أن اكتبَ عن هذا الأمر اليك..

حاولت مراراً وفشلت.
.. كلماتك تصحبني..
زادي كانت ومعادي..
أنتظر الكلمة
اللمسة..
وانقطعت كلماتك..
فجأة..
.. عقب فاجعة الموت.
لم نعد نطيق البيت..
أصبح بعد رحيل أمي فارغاً موحشاً..
ضاقت الدار بأهلها واطبقت علينا
الجدران.. ولم يعد من سبيل
أمام أبي الا أن يستجيب لندائنا
وتوسلاتنا،
فهجرنا دارنا الى دار اخرى.
وعبرنا الجسر صوب (الكرخ)!

.. افتقدت النافذة..

.. مرفأي الأثير.. وصديقتي

الحميمة.. كم انتظرت..

وكم من ليال وقفت عندها

اضع رأسي على الرتاج.. أنتظر

أن تمر أو تطل..

لعل رسائلك وحدها أمدتني بالمقاومة،

ومنحتني القوة على استعادة ارادتي، بعد

أن أوشكت الهموم أن تطويني

وتجعلني حطاما، فالآلام

الكبرى بدأت منذ (غيبتك الأولى)، وانت

وراء القضبان، واشتدت علي الالام مبرحة

لحظة فأجاتني بقرار رحيلك الى (القرية)..

وتعاظمت الاحزان طوال غيبتك..

..واياك أن تسمعني نبأ آخر.. انني

التمس منك وأتوسل اليك.. أن تطمئن

قلبي، بأنك لن تبرح بغداد مرة أخرى.
والا فأنك ســتأتي على حياتي".
ـ أحسَ بأن العالم يطبق عليه من جهاته الأربع،
.. وأن الذي سمعه منها وأحسَ به، اختزل
وجوده الانساني. وان الشيء الوحيد الذي يمكن
أن يصرح به هو تلك الطاقة المتجددة،
التي تسري في كيانه. التي لم يزدها البعد الا
تدفقاً مضاعفاً، وارادة راسخة، مستمرة
.. وان الذي جرى لهما من مصاعب
وآلام وأرزاء، ليس الا اختبارات متتالية
تفضي في النهاية الى نتيجة واحدة مؤكدة هي
انهما ازدادا قربا
بل أن الحزن العظيم من نصيب
هذا الحب، الذي يفوق الوصف!
الاريكة الخضراء تقاوم البلى تغرق في الشمس،
تصبح كائنا ثالثاً. صديقا حميماً.. ثمة أصوات

هامسة في البدء، تتهادى الينا حروفاً وكلمات مبعثرة..
ثمة تستحيل جبلاً من صراخ. يتخاصمان، تلقى
عليه (لفافة) من ورق وردي.. قد تكون رسائل
حب. آذن بالانقضاء. انتابني حزن مفاجىء.
أو لعلها نوبة من الكآبة رقَّ قلبي له ولها،
وتمنيت أن يقفز من أريكته ليلحق بها.. لكنه
لم يفعل، آثر أن يولي وجهه شطر الكلب
القعيد الى يساره..
.. يداها مضطربتان، ترفع خصلة من شعرها،
.. تنحسر العباءة، تردُّ الخصلة
مرة أخرى،..
.. الصمت, السكينة. السلام الا من ايماءات
العين، والوجيف. والاسئلة الحائرة
الى أين يمضيان؟
والى متى؟..
قال: ـ ليس ثمة كلمة عزاء أمام نازلة الموت
فهو أعظم أحزان الانسان..

.. ولكن النفس العظيمة أيضاً وحدها التي

تدرك قانون الأرزاء.

قالت: ــ لكن الوعيَ بــ(الموت) عذاب مستديم

قال: ــ هذا قدر العقل النابه،

قالت: ــ ماذا يعني (الوعيّ).

قال: ــ يعني المسؤولية تجاه الذات، ازاء الكون.

قالت: ــ ؟..

قالت: ــ "كل نفس ذائقة الموت".

قال: ــ الصبر جميل..

قال: ــ بلا .. الولادة تعني الموت حتماً..

المولود حين يجيء الدنيا يصبح

مشروعا للموت.. يحمل كفنه

نحن ولدنا..

نحيا ونعيش في دائرة الموت

.. ورقة جافة أخرى تسقط على الأريكة..

.. حمامة تداعب نفسها فوق عشب الحديقة..

.. شمس حزيران لاتزال تحتل جزءاً من

السور العتيق..

تسقط ورقة ثالثة على وجهها.. تمسك بها،

تلقيها بين أوراق دفتر مدرسي.

قالت: ـــ .. وماذا بعد. الى مَ ننتظر. وإلى أيّ مدى؟

العقل تأكله الاسئلة..

.. أنتَ عزمت على الغياب مرةً أخرى وأخرى،

لماذا النزوع للقرية..

والفرار من المدينة التي تحبها،,, تنزل

عن كل شيء. مقابل ماذا؟

قل لي بربك لماذا أتيت؟

كمٌ هائلٌ من (ماذا) و(الى مَ)..

قال ـــ أليس عليَ أن أشق الطريقَ بـــ(التجربة) التي لم تنته بعد؟!

الاَ ترين بأن خطوة الغد لم يحن أوانها؟!

والرحلة لاتزال قائمة!

وعلينا تحمل مشاقها الى النهاية.

قالت ــ لنعش؟!.. نلتقط (الآن)، قبل فوات الأيام!

فالزمن (الفائت)، لايسترجع.

قال ــ اللحظة الآنية جزء من حاضرنا.. تتأرجح بين الماضي والمستقبل.

.. ما ان نضع الخطوة الأولى، حتى ندخل أبواب

الــ(كان).. لنتحدث عن الخطوة الأخرى.

ــ (اليكون)! ــ الغد الآتي.

قالت ــ دع عنك فلسفة الأزمان.

.. نحن ولدنا في ظل نداءات القلب. واشجار الشوق..

.. لاتنمو في فصل (العقل)..

.. الماء .. الماء .. مطر التوق!

.. انها أشبه بــ(المناظرة).. يستعيدان معا،

دروس (المحادثة)، وكأنهما على مقعد دراسي.

.. لقد اضطربت الخطى، وبعد الطريق..

انهما يحاولان أن يعودا الى نقطة البدء

(الخلق)، (التكوين) .. بجدليتين متفارقتين:
فالمرأة (الأم) ــ الحبيبة ــ تفكر بعواطفها،
وبــ(الحنين) الذي يعصف بفؤادها. وبالوصال
المستديم الذي يستوعب يقظة (الشعور)،
وانفعالات الشوق.. انها تحيا حركة الحدث،
في دورانه النفسي المتصل.. فيما الفتى يسعى
الى (عقلنة) ــ الهوى ــ فيسعى لا شعوريا الى
وضع محددات لــ(حركته)، وتوصيف مسافات
خطواته.. وكأنه في مختبر فيزياوي. وبدلا من
التجاور.. ينتهيان الى التقابل.. الذي يوصد
أمام الجدليتين، الفرصة التبادلية بين الدائرتين.
حتى لتبدو.
تعمل لوحدها، في منأى عن الأخرى،..
فتطل (الغربة) .. يبدأ الأحساس
بــ(الاضطراب).

.. فتكتظ في الرأسين (الاسئلة).. وتتعسر

(المفاهيم) .. تستحيل البديهيات

الى (قضايا برهانية) بعد أن اختلطت

عليهما (المدركات).

ـ تمتلىء عيونها بالدمع!

ـ يتلفت حول نفسه، يحاول الخروج من حيرته.

يتبادلان نظرات اشفاق وأسى..

قال: ـ نلتقي غداً عند الأريكة الخضراء.

قالت: ـ سنعاود الحيرة!

قال: ـ لا .. بل لنفكر معاً..

قالت: ـ حاول أن تستعيد كلامي.. تأمله

قال: ـ سأفعل.

ينهضان.. عند باب الحديقة هتفت، نسيت حقيبتي.

يستدير يهرول صوب الأريكة الخضراء.. يعود بالحقيبة،

يمضيان

تتجاور الخطى.. فيلتصق الكتفان.

الدفء يسري كخيط من حرير

ينفذ ببطء عميق.. يوقظ خلايا الدم.

فيوهن حركة الأقدام.

تتراخى الخطوات..

يستأنفان الحوار:

بادرته: كنت اليوم غليظ القلب..

ولا أقول (فظا)..

فقد تفلسفت كثيرا..

لم تشقيني على هذا النحو

الذي لم أعهده فيك ومنك؟!

أجاب: التمس عفوك..

فأنا لم أعمد أن أقسو عليك

أو اتسبب في ايلامك.

الذي يؤرقني هو (الغد)

قالت: ـ أليس حاضرنا جسر الزمن الآتي؟!

قال: ــ بلى.

قالت: ــ إذاً يتعذر أنْ نتخطى (الآن)؟!

أو نقفز فوقَ الحاضر،.. واذا اجتزنا

الواقع، قد نصبح أغراباً في المستقبل..

أو نجد شيئاً آخر غير (الحُلْمُ)؟!

.. الفرق القائم: بين الواحة والسراب.

فالواحة تتعيّن في هذا الوقت..

الوقت الراهن، لايعني غيمة صيف.

يعني أبعاد الأرض..

و(المستقبل) لايأتي دون الحاضر..

قال: ــ ليس ثمة خلاف بين الرأيين.

قالت: ــ لاتشقيني بعد اليوم ياقرة عيني..

ياأغلى موجودات الكون.. فأنا لا أحيّا

الا بلقائك.. أسألك الله،

الله، أن لاتحدثني عن عودتك الى القرية

وعندما تعزم على السفر، لاتنبؤني

بالموعد ... ولاتقل وداعا..

فقط عندما تصل الى هناك، اكتب لي لاطمئن عنيك!

أجاب: ـــ سمعا وطاعة!

وانطلقا .. في كرادة مريم..

اخترقا شارع عبدالناصر..

مرا بجوار المتحف.

.. وقفا عند قدمي (الانسان الآشوري)..

... يده في يدها..

... طفقا في (الأزرملي)..

احتسيا (البيبسي كولا..)

دارا حول (ميدان) الشهداء..

.. اجتازا جسر (الدم) .. جسر الشهداء..

يدها في يده..

.. همست في أذنه:

"عمي يبياع الورد كلي الورد بيش.. كلي"..

.. صوت دافىء..

عند الأسواق المكتظة بالناس.. افترقا..

الموعد بعد الغد في ذات الوقت..

٨٤

المكان: كوكب الهوىٰ،

شارع غازي.

مقهىٰ رشيد.. الساعة الثامنة مساءً.

" .. كل ليلة وكل يوم.."

.. استرخىٰ على (التخت)..

.. نفذ الى أعماقه صوت (أم كلثوم)..

وكأنه يسمعها أول مرة.. استسلم

لكلماتها..

٨٥

.. نهض في التاسعة مساء.. عبر شارع غازي الى الجهة الأخرى.. اتجه الى زقاق (أبو دو دو)

وقف قبالة صالون حلاقة قاسم النعيمي.

تنبه الحلاق.. فهتف: الحمد لله على السلامة؟!

.. ما سر الغيبة؟

.. أخذ مكانه على الكرسي المتحرك..

.. خففه قليلا.. راقب حركة

المقص في المرآة..

لم يكف قاسم عن الكلام..

اختلط حديثه بصوت المذياع..

٨٦

التقطت يده (شجرة اللبلاب)..

امضى الليل في قراءة الفصول الاولى

وقد راقته وقائع الرواية بصفة خاصة

الأحاسيس المرهفة.. وحرارة العاطفة بين الحبيبين.. وغالب الظن أن محمد عبدالحليم عبدالله، كان يعرض أحد مشاهد حياته التي عاشها وجربها شخصيا.. لانه كان يروي تفاصيل حميمة من داخل نسيج الأحداث. وليس من خارجها،.. وهذا هو الفرق بين (القوة والفعل)، الذي يميز العمل الابداعي بصفته في البدء والنهاية خبرة ذاتيه. أو تجربة انسانية للمؤلف نفسه.

٨٧

ــ مساء الى السينما لمشاهدة.

.. (هيلن بطلة طروادة)

.. الفيلم الذي دشنت به سينما (الخيام) أول عروضها

.. قد يكون أحد أبرز علامات السينما العالمية

في تاريخ (الرومانسية ــ التراجيدية) إنْ

صحّ القول.

لا يملك (المَشاهد) ـ المتلقى الاّ أن يتأثر

بالأحداث، ينفعل بها، ويتفاعل معها،

ولعلّ (بناء النص) بهذا المستوى من البلاغة

الرصينة، والحبكة الفنية، في تصميم المشاهد،

وما تتطلبه من امكانات هائلة، على نحو

خاص (وقائع الحرب) بين طروادة والحلف

المناوىء لها.. عدسة الكاميرا، العين

المفتوحة بالغة الدقة في النفاذ الى

أدق التفاصيل، وقدرتها على

توسيع رقعة المشهد (البانورامي)،

.. (عشرة آلاف سفينة).. (الجيوش

الجرارة).. (المعارك بأساليبها المتنوعة)

حصان طروادة..

.. العدسة تلتقط أيضا أشد اللحظات

الانسانية (خصوصية) ـ علاقة الحب بين

العاشقين (هيلن وباريس)..

الأداء المتقن لطاقم الفيلم..

كل ذلك جعل (هيلين بطلة طروادة) واحدا

من الأفلام المميزة التي دخلت تاريخ السينما العالمية.

مثلما نفذت الى عقل ووجدان المشاهد.

عندما سقط قلبه بين يدي (هيلين)، أدرك الأمير الطروادي انه (الحب) ـ القدر ـ الذي لافرار من قضائه، وان (كيوبيد) سدد سهمه فنفذ الى فؤاده الطري.. عندما امتزج مصير العاشقين معا بيقين مؤكد، الى الابد. فصار الاثنان واحدا

المرأة الملكة تهجر العرش، والزوج. وحياة القصر..

تطوي البحر صحبة بارس.. يحملها الى وطنه (طروادة).

.. الحب يوقد نيران الحرب.. تنهض أوربا القديمة..

لتدافع عن شرف (الملكة) المسلوب.. يجري اعداد جيوش

جرارة لتعيد ـــ هيلن ـــ الى الزوج المنكوب.
تحتشد قبالة طروادة عشرة آلاف سفينة محملة
بالسلاح والجنود.. ينتظرون علْ شواطىء البحر
ايماءة البدء.
.. ملك المدينة (الحكيم) يرقب في الليل من شرفات القصر.
أنوار السفن. يتلفت من حوله فيرى ولده بارس.
يحتضن المرأة (الحرب ـــ الموت). يدرك لحظتها، بأن
مثل هذا الحب الذي انبثق في القلب العاشق قدر
محتوم.. حريٍ بهذا الحشد (الأوربي).
تبادل الطرفان الرسائل.. وجرت المفاوضات..
لكن قرار الملك الأب.. انتهى الى رفض تسليم
(هيلن)، وقبول التحدي.. معتبرا الأمر دفاعا
عن حق لجوء (الملكة المرأة) الى مدينته. حظي القرار
بأجماع مواطنيه..
.. وتدور رحى الحرب عشر سنوات..
وتحاصر طروادة

وتشن عليها الحملات، واحدة اثر الأخرى..

تضربها الأسلحة الأوربية..

الغارات اليومية تمتد عقدا ليل نهار

تتحطم الغزوات عند الأسوار.. استبسال بنيها

يعزز مقاومة المدينة. ويلحق الهزيمة بالآتين

من وراء البحار.

فيحبط الحلفاء. وتنخذل ارادة القتال.

ولم يعد من خيار أمام الملوك والأمراء الا معالجة الخيبة.

فالهزيمة تطوق أعناقهم.

.. الجيوش تنحل.. والخصومة تشتد بين الحلفاء.

والجند يتسربون ويفرون.. بروؤسهم التي أوجعتها

الهزيمة والزمن..

واذ يعلن الغزاة.. الرحيل.. تنبثق الفكرة (المغامرة)

.. فيلجأ المهزومون الى (خدعة) صنع حصان

خشبي (رمز طروادة)، يقدم هدية اعتذار الى

المدينة الصامدة.. بمثابة اقرار على بسالتها

في المقاومة.. تتقبل المدينة الهدية. ويرقب الحرس
ــ انسحاب الجيوش ــ وترفع القلوع.. تتحرك السفن
المحملة بالجند عائدة من حيث أتت.

.. يجري الاحتفال بـ(الهدية) ويلتئم مواطنو
المدينة يرقصون ويغنون..

تسري (الخمرة) في الأوصال، حتى يأتي الجميع
الخدر.. ويأخذهم الاسترخاء، ثم النوم.

وقبيل الفجر ينسل الجند المختبئون.. ينزلون
المدينة من (بطن) الحصان الخشبي الهائل..

.. فيشرعون في فتح بوابات طروادة.

يلج الغزاة المدينة..

يستيقظ المواطنون.. هلعين.. فزعين.

في الوقت الضائع..

وتدور الحرب.. (المجزرة) تمتد من الشوارع..

وأروقة القصر.. وحجرات النوم.

تحصد سيوف الجبابرة راس الملك والحاشية..

الجند.. الحراس. الصبية والاطفال.
ويتم قتل (بارس) أمام عينيْ (هيلن).
.. وتدمر طروادة..

٨٨

.. احتلت وقائع الفيلم انشغالاتي، لم تستطع ذاكرتي
أهمال (قضية مصرع بارس) في منأى عن
(النبوءة) ـــ التي أفضت بها العرافة اليه قبل
اصطحابه هيلن الى طروادة. اذ أنبأته
بأن القدر المحتوم الذي جعل الأثنين يقعان
في شباك (كيوبيد)، هو القدر نفسه
الذي صمم المشهد الأخير وهو (الدم)
.. لم يملك الأمير الطروادي عند سماعه قول العرافة.
الا أن يبتسم ويقول "بأنه يرضى بمصيره.. لأن
هذا الحب سوف يكون احدى التذكارات الكبرى

للاجيال.. وان لحظاته الزمنية القصيرة

ستبقى خالدة، شابة لن تشيخ أبدا.."

.. ولعلَ الذاكرة الانسانية، تخلت على مرور

الزمن عن جوهر القضية الكبرى... ولم يعد

يشغلها الا (حصان طروادة) الذي أعتمد

كمفهوم سياسي في الأدبيات الحديثة والمعاصرة.

.. ويجري التعامل بذات القدر مع الوقائع الأخرى.

طبقا للقانون الدولي.

من ذلك ان يعد نزول هيلن طروادة بمحض اختيارها

موضوع (لجوء سياسي)، يتوجب على البلد المضيف

الذي قبل دخولها أراضيه، توفير الحماية اللازمة

لها، ومنحها حق العيش، والامتناع عن تسليمها

الى ذويها.

.. في مقابل هذه التنظيرات وسواها، يتضاءل

الجوهر الانساني الذي ولدَ كل هذه الحقائق.

هذا عدا مئات الروايات والقصص والمواقف
الجانبية التي استولدتها حرب العشر سنوات.
بصفة خاصة لدى أبطال ومقاتلي الجيوش الأوربية.

٨٩

.. الجوّ لايطاق. تنبعث الحرارة من الأرض والجدران والطرقات
والجفاف يمتص العروق.
يوقظ رغبة الاسترخاء. والخلود الى النوم.
.. عند الظهر نزلت النهر..
القيت جسدي في مياه خضر الياس الدافئة
.. استذكرت أيام طفولتي الأولى على ذات الضفاف
عقب انصرافنا من (ملاّ حمّاد).. نهرول
نخّب الأرض كالخيول.. ننحدر من
سوق الجديد..
.. نقيم طقس الانتشاء في الشط.
ألهبت وجهي ريح السموم الشرقية..

ما انْ عبرت جسر الشهداء..
حتى لذت بأفياء السوق الباردة.
وبرّدت جوْفي بـــ(طاسة) من اللبن
المخفف (الشنينة)..
.. قطعت سوق الأقمشة..
الذي تخف فيه الحركة في الساعة
الثالثة عصرا..
.. بقي على (الموعد) ساعتان.
.... قبالة عمارة (الدفتردار)
شمس (السموأل) تنفذ
الى الدماغ فتصليه نارا..
ألقيت الخطو صوب مقهى
(الشابندر). اتكأت على
تختٍ يطل علىٰ (دجلة).
.. رائحة التنباك النفاذة.
قرقرة (ناركيلة) مجاورة.

لرجل هرم يضع (چرواية) بغدادية..
على رأسه.. يحدق في (الشيشة)
.. ويمرر يديه على الجمرات..
.. صبيّ يحمل صحفا يومية..
يتحاور بصوت مسموع مع أحد
الزبائن ..
.. صباغ (أحذية) يغفو أمام
الصندوق، يضع رأسه على
يديه.. متكئا على ركبتيه..
هدّه الحر ومشاق التجوال.
ثمة فتية على تختين.
متقابلين، يتصارعون بالكلمات..
يخوضون نقاشا سياسيا..
لفت نظري أحدهم رث الثياب
سقط من قميصه زران.. عاري
الصدر.. كان أبلغهم حديثا،

يتكلم بهدوء.. يحاول

التوفيق بين الطرفين المختلفين.

.. وعندما احتكموا اليه،

قال: كلاكما مصيب..

ومخطىء في الوقت نفسه.

.. فأنتما مصيبان لأن غايتكما واحدة

وهي اعلاء شأن الوطن.

والخلاف بينكما ينحصر في اسلوب

العمل. فأنتما تقصدان معاً

هدفاً واحداً مشتركاً، ولكن

إختلفت بينكما سبل الوصول الى الهدف. والاختلاف

هنا (فرع) وليس (الأصل) الذي تلتقيان

حوله.

ــ وانتما مخطئان ــ للسبب نفسه، فقد جعلتما

الفروع تنقلب اصولاً.. واهملتما رأس

القضية، فاستغرقتكما الجزئيات وباعدت

بينكما التفاصيل الصغيرة.

(الساعة تشير الى الرابعة بقي على الموعد

ساعة بالتمام والكمال)

..الشيء الآخر وهو الأمر الاكثر أهمية

ان كل طرف وضع مرآة أمامه.. فتجاهل

الطرف الآخر، فهو في هذه الحالة لايرى الا

نفسه. ولايعجب الا بما تعكسه المرآة الذاتية

من صورة منفردة.. يغيب عنها الطرف الآخر!

مثلكم كمثل مَنْ وُلد وعاش في كهف منعزل،

اقصيَ عن الحياة فلم يعد يعرف شيئاً عن حركتها وحقائقها.

واحوالها.. ساد الصمت التختين!

نهضتُ وغادرت المقهى..

الحرّ .. الحرّ تلهب شمس العصر الوجه تسلخ جلده

فآوي الى الظل حيناً، ثم أمدّ خطواتي..

.. الدقائق تنكمش مرة.. وتتمدد مرات..

ومضيت في شارع (النهر)..

النساء لايأبهن بـــالطقس

يتزاحمن في الأسواق..

واحدة منهن في العقد الثالث، تتأمل

فستاناً ورديا..

أُخرى تومىء بيديها للبائع

أن يأتيها بـــ(الشيفون)!

سيدة تسأل ابنتها عن لون (التنورة)

.. شاغلتُ عينيَ بين الألوان..

.. الموضات..

الذهب الحرّ

والمشغولات الفضيّة..

"الوقت أزِف..

والموعد حان..

و(الأين) قريب..

.. ضاعفت الخطوَ.. وعدوت!

٩٠

الساعة الخامسة صيفا..

.. أتينا (المكان) في اللحظة نفسها.

ألقت السلام، ابتسامة من عينيها..

.. خصلات الشعر الناعم تنسربُ

تتراقص فوق الخدين..

والفستان الفيروزي بلون البحر..

.. رائحة العطر (ماء الورد) تعبق..

في جنبات جسر (الاحرار) ..

ـ أراك متعباً..

ـ كنت قبل قليل..

ـ كأنك لم تنم منذ أيام، عيناك حمراوان..

ـ بسبب الشط والحرّ..

ـ الشط؟!

ــ بلى، فقد نزلت النهرَ هرباً من القيظ.

اجتازا الجسرَ.

ــ استقبلتهما الأريكة الخضراء.

ــ أوَ تدري؟! "لقد أحببت هذه الأريكة. أشعر أنها جزء مني، صديقة حميمة. لعلها تحتفظ بذاكرتها (المكانية) بوقائع لقاءاتنا!

ــ المكان أول شروط التكوين، فكيف أذا اقترن بالزمان؟! عندها تتولّد (الحركة)، الأريكة جزء من عالمنا. وسوف تظل تذكرنا.. ونحنُّ اليها..

.. اقتربا..

المسافة تنكمش بين الأثنين.

ــ ويعود (ماء الورد) نفّاذا..

ــ لقد حاولت مجاملتي في لقائنا الفائت، واختزلت (الخلاف) بـــ(الوفاق).. لقد تأملتُ رأيك، فوجدته صائباً.

ــ كيف؟!

ــ وفق ميزان (الواقع). ومراجعة الاحتمالات!.. اتضح

الفرق. الفصل. التمييز بين كفّتيْ (العاطفة والعقل)
بين (الحاضر والغد).

ــ .. لا أجد خلافاً حتى الآن، لاتشغلي بالك بهذا الأمر المهم هو أن نهيء مكاناً راسخاً للخطوة التالية بعد أن وضعنا الخطوة الأولى. فلايوجد (عقل محض) من غير عاطفة تطريه.. ومن المحال أن تكون العاطفة منفردة بغير وجود منطق يضبط حركة انفعالاتها.

ــ اذا أنت توافقني على أن الحاضر هو الباب الذي يفضي للغد.

ــ بلى..

ــ آلا تلحظ معي بأننا لم نتحدث حتى الآن الا ما توقظه هواجسنا من مخاوف تحيق بمصيرنا؟!

ــ ذلك لأننا مزودون بوعيّ الاختيار والمسؤولية، وان الذي نسعى اليه هو الارتباط المستديم.

ــ أتعلم بأن الزمن عبء نفسي، أُحاول تصريف الأوقات،

عبثاً لا أدري كيف أعلل هذا الأمر، فأنا أحاول الاستغراق ساعاتٍ طوالاً، اما بقراءة رسائلك، أو كتابة (الخواطر ـ اليوميات) ويشغلني التفكير بهمومنا معاً، ولكن من الصعب قطع الليل.

-- فلم تعد الروايات التي بين يديَ تثير اهتمامي، انها تبدو جافة. مكررة. رتيبة، أحاول غداً أو بعده، أن أحمل نفسي الى (مكتبة الخلاني)، التي أشدت بسعة خزاناتها أن أبحث عن مؤلفات (توفيق الحكيم). لقد أعجبني (حماره) الذي أهديتني كتابه.

ـ ياله من (تزامن)، إذْ أنوي غداً في العاشرة صباحاً أن أعيد بعض الكتب الى (الخَلاني) واستعير كتباً أخرى.

.. اذاً نلتقي غداً.

ـ إجعل الموعد الساعة الحاديةَ عشرة.

ـ وهو كذلك.

أختلطت الكلمات بزقزقة العصافير.. بحركة
يدي البستاني. وهو يشذب بعض الاغصان
المتدلية.. لعلّ حرارة الطقس وحدها
جعلت الأرائك فارغة من روادها..
لم تكف نظرها اليه..
فيسدد بصرها الى أعماقه قوة عجيبة، طاقة من الأنسَ
تخترق فؤاده، فتغمر روحه نشوة تفيض
بها نفسه.. تستولده في كل لحظةٍ
كائناً جديداً.. تنساب في جوانبه وخلايا دمه
متعٌ مدهشة مفعمة بالفرح الساحر.. حتى
كاد يظن أن بأمكانه أن يرتفع فوق الأرض
.. يحلق.. ويطير.. يسبح في فضاءات
الحديقة..
.. تسمعه الآن بوْحَ الروح. وحديثَ الأشواق..
".. وقرأت كتاب الحب الأول منذ العصر الأول
ـ قبل الأسلام ـ ومررت بروايات العشق الأموي،

.. وتلوت قصص العصر العباسي..

.. ووقفت على الأسماء الكبرى في الزمن الراهن.

.. لكني لم أقرأ بعد بذات الكيف.. مثل

حكايتنا .. زمناً ومكاناً..

.. اذ وُلد الحب فينا..

أو أن الحب استولدنا.."

الصمتُ يلَف الزمن.

والشمس تلقي ظلال الطَيفْ..

.. البستاني ينهض يومىء بيديه.. سلاما

.. الغبطة تسري في خشب الجوز.

٩١

أرحت جسدي على فراش الصيف الندي.. التقطت (السراب). من جوار الوسادة.. وأنا أحاول متابعة رحلة. (كمال)، المطوّق بالحب والدين. فقد أراد (نجيب محفوظ) أن يقدم في روايته (المركبة) نموذجا للارتباط المرضي بالأم، حتى

لم يعد (البطل) يعرف من العالم أحداً سواها، ينزعج حين سماع (يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وبنيه)، وعندما عرف امرأة أخرى، لم تتخط علاقته بها عتبة الحب الرومانسي المريض.

.. فعجز أن يقوم بوظيفته السوية كرجل.. ثم وجد تعويضه في (الدين) بل في (التصوف).. لينتهي به الأمر الى الكآبة. والانكفاء على نفسه، فيلوذ بـــ(بغيّ).. أو يمارس (العادة السرية)!.. فلم يدرك من الدين الا قشرته التقليدية.

التي لقنته إياها أمه نحو تخويفه بالنار والأشباح.

.. تتكافأ في سلوكه (القداسة والتدني).. جدلية مضطربة بين (السمو والهبوط) يتولد عنها اختلاط في المفاهيم والمدركات، (أحلام اليقظة وايمان المراهقة، يعتمد على التعاويذ والرقى والسحر وليس على الذات.

ولا يتحرر الانسان من عجزه النفسي، الا اذا تحرر وعيه من سلطة الوهم والرهبة. وقد أنجز كمال هذه الخطوة

.. ولكن بطريقة مرضيّة أيضا، عندما أقدم على انهاء حياة زوجته.. وبدلا من التمرد على ذاته،

وإحداث التغيير المطلوب في ذاكرته النفسية، انتهى الى الاحتجاج على السماء. ولم يجد الا الصراخ والهرطقة والتجديف.

٩٢

أيقظته الدقات المتتالية
الساعة العاشرة.
نهض من فراشه على عجل.
ـ في الحادية عشرة صباحا،
إلتقاها على باب
(جامع الخلاني)، نفذا الى (المكتبة).
.. وافترقا الى حين..
.. كل منهما اختار كتاباً يقطع
جزءا من أمد الصيف
.. وانطلقا..
مرّا بـ(الفناهرة) و(التسابيل)
جابا معا محلة..

(فضوة عرب)

،، واحتسيا (البارد) في باب الشيخ..

مضَيا في أزقة (عقد الاكراد)..

بحثاً عن الفيء الظليل..

وطراوة الهواء .. هرباً من

حرارة القيظ..

.. حوارات متقطعة..

واحاديث شتى..

مسامرات سيّارة..

يقترب ميقات القيلولة

تنحسر الأرصفة.. ويفرّ الناس

يلتمسون ظلاً.. أو شرابا باردا

تصطفق الأبواب

بوجه الشمس،

ويجفّ الماء.

ولجا سوقَ (الصدرية)

.. وأفاقا حيناً..

.. شربا ماء سبيلا بارداً، عذبا

قالت: ــ "الحرّ طقس الاسترخاء،

الوهن. النوم!

.. أرأيت؟!

مُذ غادرنا (الخلاني)..

أنت وانا نتحدث،

وتفيض النفس أشواقاً

قرباً.. أنســاً

وكأنا نحيا في طقس آخر

بالضد تماماً من حرّ الصيف،

.. بل يوقظه في كل الأوقات.

فيزيد القيظ التوق".

قال:ــ "ليس ثمة من ظاهرة في هذا

العالم الا ويكون لها مبدأ، أو قانون.

اذْ لا يمكن أن تجري عبثاً أبداً.

لا تنفك عن قانون العلة

والمعلول

في كل الأزمان والأحوال.

لكنَّ؟! الخطأ الاكبر أن يعتمد العقلُ

التعميم.

فالحب مفارق لكل السببيات

الفيزيائية.

وعليه فالحب يولد. يحيا. يتحرك في ظل (الذات)

وليس (الموضوع).. ويضيق بـــ المختبرات

والتحليل. والتركيب. ونظريات الصوت

والضوء والحركة!

التوق بين (العشاق) يتجاوز المنطق،

يتخطى في بعض (الأحوال) التصديقات.

.. واذا أردنا أن نتحدث بلغة العلم.

فبالأمكان اعتبار (الحب) ظاهرة..

ولكن أي نوع من الظواهر؟! ..

اذا كان يتعذر عليها (التكميم)

و(الاحصاء) و(التكرار)

فيمتنع عليها (التعميم)

فظاهرة قيس وليلى

لا تماثل ظاهرة روميو وجوليت.

ـ فلكل منهما أسباب تختلف

عن الأخرى.. واذا تباينت

العلل، فلابد أن تفترق النتائج.

في كل منهما.

قالت: أردت أن أسمع هذا، .. لأني أعتقد

بأن الوقائع

من صنع النفوس، وأن لكل نفس

مقامها في سلّم (الوعيّ) بقرينها

وبدرجة تعلقها به وانجذابها اليه،

.. طبقا لمقامات الهوى واحواله..

.. عند راس محلة (صبابيغ الآل)،

تبادلا السلام..

موعدهما الاسبوع المقبل،

في المكان المعهود. (الأربعاء)

.. وافترقا.

٩٣

عند ناصية مقبرة الشيخ معروف الكرخي،

انتبذ زاوية في مقهى (الجبوري)، اشعل

سيجارته.. ومضى يصغي الى (مواويل)

حسين رجب العزاوي

الصوت الذي ينحدر الى قلبه بالشجن والأسى..

.. أمضى الليلَ في المقهى رفقة أصحابه

القدامى في (زنكو) و(الملاّ) و(الزوراء)!

و(فيصل).

٩٤

لعلها المرة الثالثة التي يشاهد فيها فيلم
(موعد غرام). منذ عرضه أول مرة في بغداد
١٩٥٧ حتى كاد يحفظ الحوار.
النص معدّ بعناية كبيرة، حاول كاتب السيناريو
أن ينفلت من أسر (العقدة) التقليدية، أو
النهايات المقررة سلفاً في أغلب النصوص العربية.
.. واستبدل ذلك كله بـــ(مرض) البطلة الذي
أقعدها عن الحركة! الأمر الذي يعيد الروح للطابع
التقليدي ولكن بأسلوب آخر.. وثمة سؤال
ملح يتردد وهو لِمَ كل هذا الولع بـــ(الأمراض)
وبالمستشفيات.. بحيث ينفذ (الحب) من ثقب
نفسي صغير وهو (الاشفاق)؟!
أليس (المعادل) الذي يسعى اليه الكاتب،

يخفي وراءه سلوكاً (مرضياً) أيضاً؟!
الأمر الآخر، هو أن التقليدية التي خرجت من الباب، تعود في (موعد غرام) من نافذة تكاد تنفتح على أفلام لا حصر لها، عندما يتحول (البطل) من حالة (البطالة) المستديمة، الى حالة نقيضة تماماً، اذ لايكتفي النص بالتحول الايجابي المعقول، بأن يسترد البطل عافيته على العمل، فيجد نفسه الضائعة في مزاولة (الغناء).. بل يدفع بالاحداث الى ناصية (الثراء) المادي.. ليرتقي (المطرب) سلّم الشهرة.
متربعاً على عرش الغنى.. بحثاً عن متغير نفسيَ هزيل. في حين يجري .. اهمال الجوانب الانسانية الأخرى، .. لعل (النص) يكشف أيضاً الميل

الطبقي الذي يجعل قيم البرجوازية،

هدفاً. حلماً..

امتثالاً لطموح غير معلل للوصول الى مظاهر

الثراء في قصر منيف و(عربة فارهة)

و(خدم) و(حشم) احياء لتقاليد

القصور واستعادة الوعي

الزائف الذي كان سائداً قبل ثورة

١٩٥٢.

٩٥

.. علي الوردي اسم لصيق بذاكرة الفتى بعد أن نال اعجابه وتعلق ببرنامجه الاجتماعي عندما بدأ يظهر على الشاشة الصغيرة وهو يتحدث

بألفة وحميمية الى المشاهدين ويعنى بالرد على أسئلتهم، ويحاول تقديم الحلول ويحاول الاقتراب من معاناة الشباب فيسهم في تقديم الحلول لمشكلاتهم الاجتماعية والنفسية تلك التي تؤرقهم..

ولعل برنامجه الجريء واسلوبه الشجاع الذي اجتذب اليه قطاعات واسعة من الناس اسهم في نشر الكثير من الحقائق الاجتماعية فوجدت الاجيال الشابة الدكتور علي الوردي صديقاً حميماً قريباً من انفسهم بعد ان وظف خبراته وتحليلاته لمساندتهم في مواجهة الأزمات التي يعانون منها في حياتهم.

حاولت .. اليوم أن أقترب من فكره بعد ان ظفرت بكتاب له

يحمل عنوان "شخصية الفرد العراقي".

.. إتخذت مكاني في الجهة اليسرى من مكتبة الخلاني..

.. أنهيت قراءة الكتاب في ساعتين من الزمن،

وحين التبست علي المفاهيم سألت السيد الحيدري، فأحالني الى الاستاذ محمود الذي نصحني باعادة قراءة النصوص التي تعذر علي استيعابها بعد ان تعهد ان يشرح مضامينها حال انتهائي من قراءتها ثانية.

٩٦

.. شيع الزقاق المجاور احدى ضحايا تقاليدنا الاجتماعية الذميمة،

مديحة في العشرين من عمرها، في الصف الثالث/ كلية الحقوق.

أوقدت النار في جسدها.. احتجاجا على أهلها. الذين أجبروها على خطبة رجل لمجرد انه ابن عمها،.. كان كلما اقترب منها تزداد نفورا منه.. حاولت الضحية أن تثني أبويها بالحسنى مرات ومرات.. توسلت اليهما

أن يدعاها تنهي دراستها، فأبى والدها، فيما لاذت الأم بالصمت.. فكان قرار الأب أن تتخلى عن الكلية، وتتزوج في الحال (ابن العم)، الذي وصف من قبل الزقاق المجاور بأنه فظ الطبع غليظ القلب لم يحظ من التعليم الا أولياته الابتدائية. تاجر جلود. بدأت المأساة فصلها الأول والأخير عندما تقدم زميل مديحة في الكلية لخطبتها.. يومها، أغمي على الأب،

وخارت قواه وسقط مغشيا عليه، اثر سماعه النبأ العظيم من زوجته، وهو يستوضحها عما تريد تلك المرأة التي لم يرها من قبل.. فأسرَت اليه بأنها والدة زميل لابنته في الكلية،

.. جاءت تطلب يدها!

.. فأقام الرجل الدنيا، ولم يقعدها.. صراخا،

في الدار وفي فضاءات الزقاق.. فاستن قوانين التحريم..

ـ الاقامة الجبرية في الدار لاتبرحها أبدا الا يوم وفاتها.

ـ التخلي عن دراستها فورا.

ـ تزويجها بأبن عمها بأسرع وقت!

.. وتوالى الطقس اليومي.. الضرب المبرح.. والايذاء الجسدي.

والاسئلة المهينة تدك رأس مديحة.. من أين وكيف ومنذ متى تعرفين (الغريب)، الذي تجرأ أن يبعث بأمه فيطلب يدك بكل وقاحة!

.. انهارت الفتاة عقب ثلاثة أيام من الامتناع عن الطعام والنوم عن المقاومة بعد أن تكسرت فوق راسها وجسدها الهراوات الغلاظ..

وهي تئن تحت آلالام المبرحة متوسلة بأبيها أن يكف يده عن ضربها، وأن يسمعها، .. وانها فقط تلتمسه أن لايحرمها فرصة

الكلام..

.. لم تزده توسلاتها وبكاؤها الا عنادا،

على ايقاع الايذاء بها، .. ولم يعد من سبيل أمامها بعد أن أفضت اليه برفضها ابن عمها، الا أن تقدم على الموت، بتلك الطريقة المأساوية.

فصبّتْ على شعرها وثيابها (النفط)، فاستعرت النار وأتت على جسدها كله، بغير أن تصدر صوتاً، أو تنطق بكلمة..

بل آثرت الصمت.

٩٧

عصر اليوم التالي: مأساة مديحة كانت حاضرة في وجدان الناس تداولت تفاصيلها مقهى (القشل) بحزن وأسى.. وتحولت بعد حين الى مناقشات مستفيضة، .. الآباء وكبار السن، أخذوا على الأب قسوته. .. وعلى (البنت) اقدامها على انهاء حياتها، انتحاراً فأختارت لنفسها (الجحيم)..

عند الملاحظة الأخيرة، استشاط الفتية والشباب غضباً.. فعلت أصواتهم بالاحتجاج..

قال فيصل القره غولي، يخاطب الحاج صبري:

ــ ياعم كيف تقول هذا، ألم يكن أبوها هو المتسبب، ألم يدفعها الى الموت دفعاً، المسؤولية كل المسؤولية تقع على عاتق أبيها.. ماذا

كان بوسع المسكينة أن تفعل وقد طوقها بكل تلك التحريمات

وزاد عليها ضربا موجعا متصلا؟!

ـ الحاج صبري: ابني أنا أقول حكم الشـــرع!

والبينة.. جلية انها أزهقت روحها بغير حـــــق.

ـ ابراهيم البدري: أنتم آباؤنا جميعـــــا لـــو أن

أحدا منكم جاءه من يخطب ابنته من زميل لؤا،

أو غريب لاتعرفون عنه شيئا، هل كنتم تتصرفون

مع ابنتكم نفس التصرف الذي سلكه الحاج جابر

مع ابنته؟!

ـ الآباء كبار السن: لاذوا بالصمت..

أشاحوا بوجوههم بامتعاض!

كان يريد أن يقول شيئا وهو يصغي لآراء المتحدثين في حوارهم الذي تحول الى مناقشات حامية الوطيس.. الخلاف بين جيلين. بين زمانين.. وليس بين عقلين أبدا.

لو أن الحاج صبري عاد شابا وحدثت مأساة شبيهة في زمانه، ترى هل كان رأيه هو ذاته اليوم؟!

وماذا عن فيصل القره غولي، هل سيتخذ نفس الموقف بعد ثلاثين

عاما؟!

من الذي بوسعه أن يتغير ويستبدل أفكاره أو يثبت عليها؟!

الآباء؟!

أم البنون؟!

من سيبادر منهما الى أحداث التغيير المرتقب في بنية الحياة؟!

وفي سلطة العرف اليومي، والتقاليد شبه الراسخة؟!

.. كيف يحدث مثل هذا التغيير؟!

لابد من مقدمات تبدأ بوعي المجتمع حين يشعر حتمية التحول الى مقام آخر. فيبدأ عملية تهذيب أعرافه، وتشذيب عاداتـــه وتقـــاليده طبقـــا لمستوى ارتقائه الاجتماعي.. غير أن المسافة بين الآباء والبنيـــن قـــد تضيق نسبيا، ولكنها لن تختفي بينهما، بل ستبقى على نحو أو آخر شـــاهدا على دور كل جيل منهما ونظرته الى حركة الدنيا واحداث.. الحياة أمامهما ومن حولهما.

٩٨

أفتقدها. وأتوق الى لقائها.. بقي على الموعد يومان.

٩٩

ثمة ظاهرة تطفو على سطح المجتمع..
إذْ بدأ الفتية والشباب يرتدون قمصاناً
ملّونة، بعضها كاللوحات التشكيلية
تحتشد بالشجر والورد وبالطيور..

١٠٠

.. عصر اليوم نزلت الكرخ قصدتُ عبدالله فرحان سرحان زميلي القديم في (متوسطة فيصل). لم أجده في بيته بمحلة (الدوريين).

لم أفكر طويلاً.. وجدت نفسي أتجه الى الفحامة. مررت بـ(دربونة زنكَوّ)، لم أر أحداً من الأصدقاء. ألقيت السلام على الخالة حفصة، فرحت بي كثيراً التقيت عند بيت المختار بأمي في الرضاعة (زكية الكردية).. طوقتني بيديها وضمّتني الى صدرها، شربت الشاي في بيتها، وعاتبتني لأني انقطعت عنها ولم أزرها منذ عام، أعلمتها بأني

كنت طوال السنة الماضية خارج بغداد.

.. طفت بالفحامة واطللت على مقهى عريبي، وجدت (عزاوي عبود) يقرأ كتاباً في (السياسة) أقسم عليَّ أن اتنـــــاول شيئاً.. . أمضيت حواليَّ ساعة.. اتجهت الى الشيخ عباس العـــــزاوي (أستاذي) في (الملاّ).. سلمت عليه.. ومضيت الى الشيخ معروف في مقهى الجبـــوري ــ استمتعت بصوت حسين رجب العزاوي.. في حوالي التاسعة مساءً عُدت الى البيت.

١٠١

أحسَّ باللهفة.. حاول أن يضمّها الى قلبه.. وهي مقبلة فرحة

لم تنسَ الوردة الحمراء على صدر ثوبها الأبيض!

.. جاءا الأريكة الخضراء معاً. لاذ بهما كلبٌ ضالّ. خشياه

عندما أفرد أذنيه وعوى.. ثم استأنساه. فصار

ثالثهما. وهو قعيد. جوار الأريكة..

من يدري لعلّه يفهم.. ويوّد الاصغاء الينا قالت.

قال معقباً:

أثق بمدركاته الحسية.. فهو كائن نابه. ذكيّ.

وللجاحظ أقوال وأحوال فيه.. عرض

الكثير منها في كتابه (الحيوان).

.. تداخل الحديث بينهما.. وطفقا يتبادلان الرأي

.. حول الفروقات بين الحيوان والانسان.. وانتهيا

الى أن (العقل) هو مقياس الفصل بين الكائنين.

.. وان الانسان يتميز عن الحيوان

بهذا (العقل) ـ جهاز التفكير بوصفه ملكة الاستدلال

الصحيح والاستنتاج وعرض الافكار بطريقة منطقية..

.. ولكن الى أيّ الحدود يمكن أن يمضي أو يصل

عقل الانسان. أي هل ثمة نقطةٌ ما يكفُ فيها

عن الادراك؟! لايستطيع تجاوزها الى ما وراءها؟!

عندما وصلا الى بسط

الاسئلة آثرا تغيير اتجاه الحوار الى اللحظة

الراهنة.

قالت: ليت الزمن الراهن. يتوقف عند الأريكة الخضراء،

فنحتفظ بهذه اللحظة. لنحيا داخلها الى الأبد!

قال: هذا هو (الزمن الذاتي) ـ الـــذي يستشعره
الانسان، فيحاول أن يبســط من خلالـــــه
أمانيه وأشواقه، مقابل (الزمن الموضوعي)
المثقل بالاحداث، والهموم والمسؤوليات.

قالت: بلى، الزمن الذاتي في هذا البعــد هرب
من واقعية الزمن الآخر. الذي لايعــرف
احد منا، أو يستطيع أن يتنبأ بمفاجآتـــه..
أو أرزائه. لذلك يلجأ العشاق والمحبون،
المحاصرون بالخوف.. الى نافذة الذات.

قال: من هنا أيضا تنشأ الـــرؤى والأخيلـــة،
والتصورات المثالية.. وعند اللحظة
الحاسمة. يدرك هؤلاء المسافة الهائلة
التي تفصل بين الأوهـــام والوقائـــع..
ولايجد العشاق واصحاب الهوى تفسيرا
بين النقيضين الا الهرب مرة أخرى،

الى تحليل مفارق للحقيقــة.. فيعــلقون

(الخيبة) على شماعة (القدرية) الغاشمة.

أو بعبارة مخففة أخرى: (الحظ) و(النصيب)!

قالت: الانسان مخلوق (مبرر) لمواجهة المحبطات.

في الغالب يميــل الى (الهــرب) عن

نقد الذات . أو تقــويم الاخطــاء،

الشخصيـــة. لان (التبــرير) وحـــده

يمنحه فرصة اعادة التوازن، ومواصلة

الحياة.

قال: المنتحرون عاجزون عن تقبل الحقيقة الموضوعية،

و (مثاليتهم) المطلقة تمنعهم من أجراء أية تسوية

مع الواقع أو مصالحة مع النفس. فــ(الكمال) الذي

ينشدونه يعادل (الفجيعة)، فيصبح الموت اختياراً

هو الحل المنطقي الذي لابديل له.

أما (التبرير) فهو (خيانة) للمثل المتعالية التي

تأبى أن تضع (الكليات) في مكافئة (الجزئيات).

كما يستحيل المماثلة بين (المطلق) و(النسبي).

ولذلك يقال بأن هؤلاء (الضحايا) اكثر المخلوقات صدقاً مع النفس!

قالت: "آمل أن لاتواجه اختياراتنا هذا المأزق في الغد.

فالأمر يبدو رهيباً.

اعترف الآن بأن الذي بيننا (مغامرة) قد لا تكون

في نتيجتها النهائية مأمونة العواقب.

اذْ من يدري ما تخبئه من مفاجآت.. أو

ما يطرأ من أحداث ! .. لذلك تمنيت وما أزال

أدعو أن نحتفظ باللحظة الراهنة الى الأبد.

.. وان أياً من لقاءاتنا الفائتة..

والآتية.. هي وحدها التي تجعلني أمتدّ

مع الأيام، وارقب أن يأتي الغد، فأحيا"

قال الشيخ: احتشدت العصافير فوق أغصان الشجر..

تعالت الزقزقة المحببة.. نظرتْ اليه.

أدرك أن الوقت حان..

توقفا عن الكلام..

سارا معاً في رحبات الحديقة نزلا الشارعَ

فاخترقا كرادة مريم..

وعند جسر الاحرار افترقا..

الموعد في نفس اليوم (الاربعاء)

من الاسبوع المقبل.

١٠٢

الخميس..

الوقت: ضُحى.

الحجرة موصدة الباب.

ثمة عصفورة.. تنقر نافذةَ السلّم؟

ـ "ترى مَنْ جاء بها؟! ماذا تبغي في هذا الوقت؟!

رَفَع مِزْلاجَ الشباك..

فهوتْ واهنةً تبكي في (حوش) الدار..

ظهيرة الخميس:

الحرُّ ريحُ سُموم شرقيّة

النادل يغفو عند الموقد..

المقهى يزدحم بالروادّ..

المروحة السقفية تُساقط جمرا..

والنرجيلة تعلن:

الهدنة

فطوى الشيخُ طاولةَ النردْ..

اصطفقَ بابُ المقهى..

خشية أنْ تهرب أَصواتُ الروادِ..

.. وتفرَّ غيمات الدخان.

قيلولة الخميس:

الشيخُ عادَ توّاً لِصباه؟!!

ثم استرخى..

خلد للنوم.

عصر الخميس: تموز ١٩٥٩

جابَ (النهضة)[١]

ولج بابَ (الفردوس)[٢]

.. وبكى في آخرَ مشهد.

المغرب..

الشارع يتمطى رطباً..

والناس كسالى وحيارى..

جفَّ الماء.

---

[١] ساحة النهضة.

[٢] سينما الفردوس.

الخميس مساءً..

عادَ يبحث عن نفسه..

.. بين الأوراق.

ليل الخميس

.. الورد الجوري بلون الليل

١٠٣

الجمعة:

مابين الظهر وصلاة العصر تورق أعشابُ القيلولهْ

ياخاتمةَ الجزء الأولِّ،

لاتنسيْ

ذاكرةَ اليوم الأول..

لحظةَ تكوين الخدّ..

دائرة الفم..

سحر العينين الغارقتينِ بماء الورد

ياخاتمة الجزء الأول..

كوني ضوءاً سُحُباً .. مطرا..

شجراً . نافذة. دارا..

تيناً. زيتوناً. نهرا

أو سِرّاً يرقدُ بينَ القمرين

١٠٤

السبت..

الفصل الثاني..

اغتالَ النصَ بعينيه..

قاربت الساعةُ الواحدةَ ظهرا..

وقفَ عند باب الحلاج في اليوم الحادي والخمسين..

وانتظر الليل..

١٠٥

الأحد:

في خاتمة الجزء الأول

مرَّ بحمارِ يحملُ أثقالاً من فاكهة التفاح..

.. وانتظرَ الباص النازلَ للكرخ..

تتقدّ (النهضة) جمرا..

ترقب أن ياتيها (اللبن الرائب) عصر الأثنين.

١٠٦

الأثنين

.. الاثنين عطلتنا

نزل الحوذيُ والحلّاق والعطار البابَ الشرقي

ابتاع الأول خفاً من (باتا)..

وانتبذ الحلاقُ زاويةً في بار (المشرق)..

ضاعتْ خطواتُ العطار بين الرجلين.

١٠٧

الثلاثاء:

.. عاد الشيخُ صبيّاً..

أوجعه نصُ التكوينِ الأولْ..

فاحتضنَ الثلجَ.. وغفا..

١٠٨

الأربعاء

غنّى موالَ صبا..

قطعا (الوثبة)[٣] سيرا..

.. واجتازا جسر الأحرار

طافَ الظلان حول مقام (الأين).. ثمة ذابا..

حلاّ في أرض البستانِ.. صارا عشبا..

١٠٩

اختبأ الجمرُ في كفِّ العاشق ثمةَ آل رمادا

منذ البدء والناعور يدور يحنّ

---

[٣] شارع الوثبة يبدأ من (النهضة) وتطل نهايته على شارع الرشيد.

.. ينشج ويغنيّ
أيامُ الهجر
وعذاب الصبر
مُذّ تلك الليلةّ
ولج القرويون خباءَ الدرويش،
التأموا حول منقلة النار..
علَّ السامر يفد من بوابات الصحراء
ثمةَ يحكى نصّ الفصل الثاني.

٢٠٠١/٥/٢٦

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٤٧١ لسنة ٢٠٠٢

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - شركة عامة